الفصل الثانى

جماعات الصفوة فى العالم الثالث

الاتجاه التعددى الوظيفى

مقـــدمة :

من بين الاتجاهات النظرية التى عرضنا لها فى الفصل السابق ، والتى تهتم بتكوينات الصفوة فى المجتمعات الغربية ، كان الاتجاه التعددى الوظيفى هو أكثر الاتجاهات اهتماما بتحليل جماعات الصفوة فى مجتمعات العالم الثالث ، ولقد ظهرت الرؤية التعددية فى صورتين : الصورة الوظيفية التى أعرض لها فى هذا الفصـل ، والصورة الفئوية ـ العرقيـة التى سأعرض لها فى الفصل القادم (١) • واذا كنا نسمى هذا الاتجاه بأنه « تعددى وظيفى » Pluralistic Functional فان ذلك لا يدل على ضـرب من ضروب التاليف النظرى بين الاتجـاه التعـددى pluralism وبين الاتجـاه الوظيفى functionalism • ذلك أن التعددية قد استمدت أصـولها الفكرية من التراث الوظيفى ، كما أنها ظهرت ـ كما رأينا فى الفصل السابق ـ كاتجاه ينتمى الى الوظيفية فى صياغتها البارسونزية ، يهتم أساسا بتحليل بناء القوة والممارسة السياسية فى نسق ديموقراطى حقق درجة عالية من التباين البنائى الوظيفى ، وبالتالى من التكامل والأداء الوظيفى •

وفى ضوء أهداف هذه الدراسة ، فان هذا الفصل يود الكشف عن رؤية أنصار هذا الاتجاه للبناء الاجتماعى فى مجتمعات العالم الثالث بصفة عامة •

---

(١) لا شك أن ذلك يدل على مدى نجاح علم الاجتماع الغربى فى نشر رؤيته الى مجتمعات أخرى غير غربية ، كما يدل ـ بداءة ـ على أن هذا الامتداد للرؤية التعددية قد جاء على حسـاب اتجاهات نظريـة أخرى •

والبناء السياسى داخل هذه المجتمعات بصفة خاصة • وبصورة أكثر تخصيصا ، يستهدف هذا الفصل الكشف عن رؤية الاتجاه الوظيفى التعددى لجماعات الصفوة القديمة والجديدة سواء فى تكويناتها القومية أو الريفية المحلية ، وعلاقة هذه الجماعات بالبناء الطبقى أو شكل التدرج العام القائم فى المجتمع ، وبالبناء الاجتماعى بصفة عامة • وفى محاولة لاشتقاق القضايا الأساسية التى يطورها أنصار هذا الاتجاه بشأن هذه الموضوعات يواجه الباحث بكم هائل من الدراسات النظرية والبحوث الامبيريقية • وقد حتم ذلك أن نحدد بعض الموضوعات الأساسية ، ثم نعرض لوجهات النظر التى تدور حول هذه الموضوعات الأساسية • وتتدرج هذه الموضوعات الأساسية من العام الى الخاص فتبدأ بالشكل العام للبناء الاجتماعى ، ثم تتدرج الى البناء الطبقى ، والبناء السياسى وجماعات الصفوة داخل هذا البناء • على أن يستتبع ذلك عرض للبحوث الامبيريقية التى اهتمت بدراسة جماعات الصفوة فى المجتمعات الريفية والتى اتخذت من هذا الاتجاه منطلقا نظريا (٢) ، وذلك قبل أن نقدم رؤية نقدية شاملة لهذا الاتجاه • على ان المنطلق العام ، والأسس العامة التى يقوم عليها هذا الاتجاه لا يمكن أن تتضح دون تقديم صورة عامة ـ وسريعة ـ عن الجذور الفكرية للاتجاه التعددى الوظيفى • وبناء على ذلك فسوف يضم هذا الفصل الفقرات التالية :

أولا : الجذور الفكرية للاتجاه التعددى الوظيفى •
ثانيا : القضايا النظرية للاتجاه التعددى الوظيفى •
ثالثا : اتجاهات البحث الامبيريقى فى المجتمعات الريفية •
رابعا : نقد الاتجاه التعددى الوظيفى •

أولا : الجذور الفكرية للاتجاه التعددى الوظيفى :

اتضح من الفصل السابق أن الاتجاه الوظيفى التعددى قد ظهر أساسا

---

(٢) سوف تضم هذه البحوث بحوثا أجريت على مجتمعات ريفية فى العالم الثالث ، مع التركيز على مجتمعات الشرق الأوسط والمجتمعات العربية ، كما انها سوف تضم مجموعة من البحوث التى أجراها أجانب أو مصريون على المجتمعات الريفية المصرية •

لدراسة البناء الاجتماعى والسياسى فى المجتمعات الغربية الديموقراطية ، وقد جاء ذلك امتدادا للمحاولات المبكرة التى استهدفت فهم ديناميات البناء الاجتماعى لهذه المجتمعات • والحقق أن علم الاجتماع فى أوربا وأمريكا قد ظل حتى عهد قريب أسير نظرة اقليمية ضيقة تهتم أساسا بظروف هذه البلدان والتخطيط لها (٣) • وعندما بدأ علماء الاجتماع ـ من داخل هذا التيار ـ الاهتمام بمجتمعات العالم الثالث ، استمدوا نظرتهم لهذه المجتمعات من الأعمال الكلاسيكية لبعض الرواد الذين اهتموا بتحول المجتمع الغربى من التقليدية الى الحداثة • وطفق هؤلاء العلماء يسحبون التعميمات التى تمت صياغتها من خلال خبرة المجتمعات الغربية على مجتمعات العالم الثالث ، من خلال الاقتناع بأن هذه المجتمعات سوف تمر بنفس مراحل التطور التى قطعها المجتمع الغربى الحديث • وهكذا استمد هذا الاتجاه جذوره الفكرية من الرؤى النظرية التى اهتمت بتحـــول المجتمـع الغربى ، ســواء قامت على تشييد ثنائية بين نمطين من المجتمعات (٤) كرؤية اميل دوركايم ، أو على وصف عملية الانتقال من المجتمع التقليدى الى المجتمع الحديث من خلال تشييد أنماط للفعل الاجتماعى والسلطة لتحليل عملية الانتقال هذه كرؤية

---

(٣) محمد الجوهرى ، **مقدمة فى علم اجتماع التنمية** ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٨٦ •

(٤) للتمييز بين نمطين من المجتمعات بناء على أشكال مختلفة من الفعل الاجتماعى أو شكل التنظيم الاجتماعى تراث طويل فى علم الاجتماع • وسنهتم فيما بعد بثنائية دوركايم عن التضامن الآلى والتضامن العضوى، ونشير هنا الى ثنائية هنرى مين Main بين المكانة والعقد ، وتونيز Toennis بين المجتمع المحلى والمجتمع ، وكولى Cooley بين الجماعة الاولية والجماعة الثانوية ، وردفيلد Redfield بين الثقافة الشعبية والثقافة الحضرية • ويعد التراث الذى نعرض له هنا تنويعا على الموضوع الأساسى لهذه الثنائيات • انظر : محمد الجوهرى ، **مرجع سابق** ، ١٩٧٩ ، ص ١٨٧ ، السيد الحسينى « اتجاهات علم الاجتماع فى فهم مشكلات الدول النامية » ، فى السيد الحسينى وزملائه، **دراسات فى التنمية الاجتماعية** ، الطبعـة الثانيـة ، دار المعـارف القاهرة ، ١٩٧٤ •

ماكس فيبر ، أو على الربط بين العديد من الصياغات النظرية فى صياغة عامة لوصف أشكال عديدة من المجتمعات كرؤية تالكوت باسونز • وسوف أحاول فى هذه الفقرة أن أوضح كيف فتحت هذه الاعمال الطريق نحو الفهم التعددى ـ الوظيفى للبناء الاجتماعى ـ السياسى فى مجتمعات العالم الثالث ، وكيف مهدت الطريق نحو فهم هذا البناء فهما معياريا من خلال الخبرة الاجتماعية ـ السياسية للمجتمعات الغربية •

لم تكن ثنائية التضامن الآلى ـ التضامن العضوى بالنسبة لدوركايم مجرد مقولة وصفية وتحليلية ذات طابع تطورى فحسب ، وانما كانت أيضا بمثابة وصف لشكلين عامين من أشكال الفعل يختلف كل منهما باختلاف التنظيم الاجتماعى الذى يسود فيه • وتعتبر كل أعمال دوركايم ـ بشكل او بآخر ـ محاولة لتنقيح هذه الثنائية ، التى عبرت أساسا عن وصف لتحول المجتمع الأوربى فى القرن التاسع عشر من التقليدية الى الحداثة من وجهة النظر الدوركايمية (٥) •

فتحول المجتمع وتغيره من خلال عمليات التحديث تؤدى الى تهديد التضامن الذى هو أساس المجتمع عند دوركايم • فالحداثة تتسبب فى الاطاحة بكل الاشكال القديمة من التنظيم الاجتماعى ، وتبدأ هذه الأشكال فى الزوال واحدة تلو الأخرى • ومن ثم تصبح المشكلة الاساسية : كيف يمكن المحافظة على التضامن والحداثة فى آن واحد ؟ فى هذه الظروف يبدو التضامن العضوى ـ

---

(٥) ويختلف هذا الرأى عما ذهب اليه نيسبت من أن دوركايم لم يعد مطقا الى هذه الثنائية فى أعماله التالية على تقسيم العمل • فقد اهتمت دراسة دوركايم عن الانتحار بالربط بين ارتفاع معدلات الانتحار ونقص التضامن ، كما اهتمت دراسة عن الدين بابراز دور الدين فى تحقيق التضامن (الآلى) فى المجتمعات البسيطة • حول رأى نيسبت انظر :

R. Nisbet, **The Sociology of Emil Durkheim**, Heinmann, London, 1975, p. 130 ff.

فى تحليل دوركايم ـ وكأنه حتمية تاريخية (٦) • فاذا كان تحول المجتمع يؤدى الى تهديد أسس التضامن الآلى ، فان على المجتمع أن يولد شكلا من أشكال التضامن قـادرا على خلق نوع من التوازن بين حريـة الافراد وما يفرضه المجتمع من تنظيم معيارى ، أو على خلق مجموعة من الضوابط البنائية التى تمنع النزعة الفردية ـ وهى احدى نتائج تحول المجتمع ـ من أن تؤدى بالمجتمع الى الانهيار (٧) • ويبدو مثل هذا التوازن مستحيلا دون شكل من أشكال التنظيم السياسى • ولقد ميز دوركايم بين شكلين من أشكال هذا التنظيم : (أ) الدولة وهى عنده سلطة استبدادية لا تحقق التكامل فحسب، ولكنها تلعب دورا بارزا فى تحرير الافراد ، (ب) الهيئات المهنية الوسطى التى تحقق التكامل وتعمل على تخفيف حدة المركزية وتحل محل الروابط القرابية فى مجتمع التضامن الآلى ، ومن أمثلة هذه الهيئات : نقابات العمل ، والاندية المهنية ، والتجمعات المهنية المختلفة (٨) • ولا غنى لمجتمع التضامن العضوى عن هذين التنظيمين ، طالما أنهما يحققان هدف التوازن بين الضوابط البنائية وبين حرية الفرد : فالدولة تمنع التجمعات المهنية من أن تصبح مجتمعات فى ذاتهـا ، وهذه بدورها تمنع الدولة من التحول الى أداة للاسـتبداد والطغيـان •

ويمثل وصف التضامن العضوى بهذا الشكل نمطا مثاليا لما يجب أن يصل اليه المجتمع اذا ما تعرض بناؤه القائم على التضامن الآلى لأى تغيرات• ويصف كتاب تقسيم العمل ـ الذى قدم فيه دوركايم هذه الثنائية ـ العملية التى من خلالها ظهرت المجتمعات الحديثة • فقد تعرض بناء المجتمع القديم

---

(٦) اعتبر دوركايم التغير من التضامن الآلى الى التضامن العضوى بمثابة قانون تاريخى ، يفقد بمقتضاه التضامن الآلى الأساس الذى يقوم عليه ، بحيث يحل محله التضامن العضوى شيئا فشيئا • انظر :
E. Durkheim, **The Division of Labour in Society**, The Free Press, 1964, 1st published, 1883. p. 174.

(٧) S. Lukes, **Essays in Social Theory**, The Macmillan Press LTD., London, 1977, Chapter one.

(٨) R. Nisbet, **op. cit.**, pp. 135-144.

لضرب من التباين الاجتماعى بين أجزائه المترابطة ، ترتب عليه ظهور قيم عمومية كما ترتب عليه نمو الفردية • ومعنى هذا أنه يتحول الى مجتمع تعددى Pluralistic غير أن هـذه التعددية لا يجب أن تنتهى به الى الانحـلال والتدهور ، فكل هـذه التغيرات يجب أن تتم فى اطار عـام من التضامن العضوى (٩) ، وأن تسعى نحو تحقيق صورته المثاليـة التى عرضت لها منذ قليل • ورغم أن هـذه الصياغة قد ظهرت أساسا من خـلال الخبرة بالمجتمعات الأوربية ، الا أنها استخدمت بعد ذلك فى المقارنة بين نماذج المجتمعات ، بحيث يتم التفرقة بين المجتمعات المتجانسة التى لم تحقق سوى درجة بسيطة من التباين وتلك التى حققت درجة عالية منه • وهكذا تركت ثنائية دوركايم آثارها على الرؤية التعددية الوظيفية لمجتمعات العالم الثالث التى تخبر عملية تحول بين قطبى ثنائية دوركايم •

واذا كانت الصورة المثلى للمجتمع عند دوركايم هى تلك القائمـة على التضامن العضوى ، فانها عند فيبر المجتمع الذى يحقق درجة عالية من النمو البيروقراطى والترشيد • ويجمع الباحثون الذين يتعرضون لنظريات ماكس فيبر على أنها تحوى عناصر تطورية • فقد ذهب بارسونز ـ على سبيل المثال ـ الى أن المنظور الذى انطلق منه فيبر سواء فى علم الاجتماع الدينى أو فى بعض العناصر الأخـرى المكونة لنظريته يعـد منظـورا تطوريا (١٠) • فمن المحقق أن فيبر قد فهم التغير والتطور على أنه يتم من خلال تزايد التباين والتخصص ، وهى العملية التى يجب ان يترتب عليها قدر من الترشيد فى السلوك • غير أن هذا التباين لم يعالج ـ من منظور فيبر ـ بطريقة محض ثنائية كما هو الحال عند دوركايم ، وانما ظهر التباين فى صياغة فيبر على أنه يظهر داخل مجالات متعددة من ناحية ، وداخل كل مجال على حدة من ناحية أخرى •

---

(٩) D. Lacapra, **Emile Durkheim : Sociologist and Philosopher** Conrnell University Press, Ithaca and London, 1972, pp. 82—89

(١٠) T. Parsons, «Introduction» to Webers **Sociology of Religion,** Treans by E. Fischoff, Methuem and Co. LTD., London, 1963, p. XXVii .

لقد نظر فيبر الى الواقع الاجتماعى ـ من خلال الأنماط المثالية ـ على مستويين : (١) مستوى الفعل الاجتماعى · (٢) ومستوى الأبنية الاجتماعية التى يخلقها الافراد أو يجدون انفسهم داخلها · وهما مستويان لا ينفصلان بطبيعة الحال ، ويكشف الواقع عن ترابط أشكال مختلفة من الافعال ، وأشكال مختلفة من الأبنية · ويظهر التغير ـ الذى يقوم فى جوهره على التباين البنائى الذى يؤدى الى المجتمع الرشيد فى صورته المثالية ـ كنتيجة لأى عنصر من العناصر المكونة لهذه الأبنية (١١) · ويميل فيبر دائما الى اضفاء طابع المثالية على نمط معين من أنماط الفعل ، وشكل معين من أشكال التنظيم الاجتماعى · فاذا كان نمط الفعل المثالى هو الفعل الرشيد ـ فى مقابل الأنماط الأخرى غير الرشيدة ، والتقليدية والموجهة بالقيم والمعايير ، فانه يترتب على ذلك أن يكون المجتمع الذى يحقق درجة عالية من الرشد هو المجتمع المثالى · فالتغير اذن فى المجتمع التقليدى الذى تسود فيه الاشكال التقليدية وغير الرشيدة من الفعل يجب أن يسير فى اتجاه التزايد المستمر للرشد فى التنظيمات الاجتماعية (١٢) ، أو بعبارة أخرى نحو احلال انسان التكنولوجيا technical man محل الانسان التقليدى **man of culture**

واذا كان المجتمع يتطور نحو الترشيد المستمر فان نظمه السياسية تخضع لنفس التطور ، حيث تتطور من نظم تعتمد على أنماط تقليدية وكارزمية

---

(١١) من الأمور شبه المؤكدة اليوم أن فيبر لم يكن يركز فقط على القيم والمعتقدات كأساس للتغير ، وأنه رفض التغير الأحادى للتاريخ · وقد أورد السيد الحسينى نصا من دراسة فيبر عن الاخلاق البروتستنتية يقول فيه « انه لايرغب فى استبدال التفسير السببى المادى الواحدى بتفسير سببى روحى للثقافة والتاريخ » انظر السيد الحسينى ، مرجع سابق ، ١٩٧٤ ، ص ٥٠ · وأكد فيبر ص ٦٠ فى دراسته عن الاخلاق البروتستنتية على ضرورة الاهتمام بالعوامل الاقتصادية · ومصادر التغير عند فيبر يمكن أن تتنوع بتنوع أشكال الفعل نفسه ، حتى فى عناصره غير الرشيدة كالكاريزما مثلا ·

(١٢) I. Dronberger, **The Political Thought of Max Weber**, Appleton—century crofts, New York, 1971, p. 304.

للسلطة الى نظم تعتمد على انماط قانونية للسلطة • وتمارس السلطة التقليدية من خلال الولاء للكبار gerontocracy والسلطة الأبوية Patrimonialism او التسلط العسكرى (١٣) • Patriachalism أما السلطة القانونية فهى سلطة رشيدة يخضع فيها الافراد لمعيار عام وليس لشخص بعينه وهى تتجسد فى صورتها المثالية فى التنظيم البيروقراطى • ويتضمن التحول من السلطة التقليدية الى السلطة القانونية الرشيدة تحولا نحو صيغة المجتمع التعددى فى بنائه السياسى والاجتماعى • ففى المجتمع الذى تسود فيه السلطة التقليدية والسلطة الكارزمية تكون مكانة القائد هى أساس سلطته ، ولكن عندما ينمو الرشد وتنمو البيروقراطية يظهر ضرب من التباين داخل المراتب الاجتماعية : فيظهر التباين بين الطبقة والمكانة من ناحية ، وبين نسق التدرج الاجتماعى والقوة السياسية من ناحية أخرى • ويترتب على ذلك (١٤) : (١) أن تصبح العلاقة بين الحزب من ناحية والطبقة من ناحية أخرى علاقة مفتوحة بحيث لاتسيطر طبقة معينة على حزب معين ، (٢) أن تصبح القوة منفصلة عن علاقات الطبقة والمكانة ، (٣) أن تصبح الديموقراطية أداة لتحقيق أعلى درجات الرشد والكفاءة ، مقدمة بذلك توجيها سياسيا أكثر كفاءة للدولة ، (٤) واخيرا يصبح السياسيون فى المجتمع الديموقراطى الحديث محترفين يعيشون من أجل الممارسة السياسية او عليها ، وتصبح وظيفة الدولة تنظيم السيطرة عن طريق الاستخدام المشروع للقوة الفيزيقية Physical force .

وفى ضوء هذا التحليل نجد أن التباين التعددى الذى يحدث على مستوى الفعل وعلى مستوى البناء ، والذى يؤدى الى مزيد من النمو البيروقراطى

---

(١٣) Max Weber, The Theory of Social and Economic Organization, op. cit., pp. 328—407.

(١٤) M. Weber, «Politics as Vocation» in Gerth and Mills (eds.) Form Max Weber : Essays in Sociology ; Routledge and Kagan Paul, London, 4th impression, 1970, p. 51, D. Beetham, op. cit., p. 96.

والترشيدى للمجتمع ، لابد أن يؤدى بدوره الى مزيد من النمو الديمقراطى بحيث يتحول بناء القوة من بناء يتركز فى أيدى قلة قليلة من الافراد الى بناء تتوزع فيه القوة على جماعات متعددةفى المجتمع • ومثلها مثل صياغة دوركايم،استخدمت صياغة فيبر فى المقارنة بين أشكال متعددة من المجتمعات ، وفى وصف عملية التحول التى تترتب على ادخال أشكال حديثة للفعل على أشكال تقليدية ، وما يترتب على هذا التحول من نمو بيروقراطى وديموقراطى • وبهذا الشكل تركت صياغة فيبر تأثيرا بالغا على العلماء الذين اتجهوا نحو تحليل الأبنية التقليدية فى العالم الثالث وما يعترى هذه الأبنية من تغير •

ولقد اضطلع بارسونز بربط نظرية دوركايم ونظرية فيبر ـ ضمن نظريات أخرى ـ ليقدم نظرية عامة شكلت همزة الوصل بين العلماء الكلاسيكيين وبين العلماء المحدثين الذين انشغلوا بتحليل الأبنية الاجتماعية فى العالم الثالث • وذلك لأن نظرية بارسونز قد أفسحت المجال ـ على المستوى التحليلى ـ لرؤية معينة للتغير فى المجتمعات الواقعة خارج نطاق العالم الحديث •

كان مدخل بارسونز الى تحليل هذه المجتمعات هو « متغيرات النمط » (١٥) ، التى تعد بمثابة أداة تحليلية يتم من خلالها توضيح اختلاف الافعال الملموسة عن هذه المتغيرات ، كما يتم من خلالها أيضا مقارنة انماط مختلفة من الافعال وانماط مختلفة من المجتمعات وفقا للشوط الذى قطعه كل منها فى سلم التطور • ويرتبط التغير الاجتماعى ـ أو التطور ـ عند بارسونز ـ بعمليةالتباين الوظيفى، هى العملية التىبمقتضاها « تظهر أنواع جديدة منالوحداتالمكونة للنسق••تؤدىوظيفةاعلى higher-order function

---

(١٥) عرض بارسونز لفكرته عن متغيرات النمط باستفاضة فى المؤلفين التاليين :

— T. Parsons and E. Shils (eds.) **Toward A General Theory of Action,** Harper and Row, Publishers, New York, 19511.

— T. Parsons, **The Social System,** The Free Press, New York, 1951.

لم تكن الوحدة التى اصابها التباين أو الوحدة المتبقية منها لتستطيعا أن تؤدياها دون حدوث هذا التباين » (١٦) • ولا يؤدى مثل هذا النوع من التغير الى تغير فجائى ، وانما الى تغير تدريجى ينعكس فى زيادة التفاعل بين مكونات النسق بحيث يصبح النسق قادرا على تحقيق « مستـــويات من الانجاز لم تكن متاحة له من قبل » (١٧) • ويعتبر نمو العوامل الثقافية هو العامل الحاسم فى عملية التغير • فوفقا لقانون التدرج السبرنطيقى ، يحتل النسق الثقافى مكانا متفوقا عن الأنســـاق الأخرى ، ذلك انـــه يتحكم فى المعلومات التى تمكنه من أن يفرض رقابة على الانساق الأخرى التى تمتلك قدرا كبيرا من الطاقة وقدرا أقل من المعلومات (١٨) •

وتتمكن المجتمعات من خلال تطوير مستوياتها الثقافية من زيادة قدرتها التكيفية ، والتى تعنى مزيدا من التحكم المجتمعى فى البيئة ، بحيث تتمكن باستمرار من التكيف مع مواقف جديدة ووظائف جديدة • ولكى يزيد المجتمع من هذه القدرة التكيفية لابد وأن يخبر ثلاث عمليات أطلق عليها بارسونز « دائرة التطور » وهى : التباين (تباين الأبنية الفرعية) ، والتكامل (التنسيق بين الوحدات المتباينة) ، والتعميم (خلق انماط قيمية تساعد على صياغة الوحدات المتباينة داخل نظم) (١٩) • وأهم هذه العمليات جميعا هى العملية الاخيرة لانها ترتبط بالمستويات الثقافية ، وان كان التباين نفسه ينتج عن عمليات ثقافية أطلق عليها بارسونز عوامل التغير الحاسمة breakthrough

---

(١٦) — T. Parsons, «Some Consideration on the Theory of Social Change», **Rural Sociology**, Vol. 26, 1961, p.229.

(١٧) T. Parsons, «Pattern Variables Revised : **A.S.R.** Vol. 25 No. 4. 1960.

(١٨) قدر بارسونز قانون التدرج السبرنطيقى فى كتابه التالى :
T. Parsons, Soocieties : **Revolutionary and Comparatives Perespectives**, Prentice-Hall, Inc., englewood Cliffs, N.Y., 1960, Chap. one.

(١٩) **Ibid.**, pp. 22—23.

أو العموميات التطورية (٢٠) • وهذه العموميات التطورية هى : التـــدرج الاجتماعى وتطور أنماط الشرعية الثقافية وهما العموميتان اللتان حولتا المجتمع من نمطه البدائى الى نمطه العتيق archaic والبيروقراطية ، والنقود ، ونظام السوق ، وظهور القانون والديموقراطية وهى العموميات التطورية التى أدت الى ظهور المجتمع الحديث •

ولكن ما علاقة هذا التطور بمتغيرات النمط ؟ الواقع أن زيادة القدرة التكيفية للنسق تعنى تحوله نحو تبنى مستويات ثقافية تقوم على الانجاز، والحياد الوجدانى ، والتخصص ، والعمومية ، والمصلحة الجماعية ، وتعنى فى نفس الوقت تخلصه من العزو ، والوجدانية ، والانتشار ، والخصوصية ، وتفضيل المسلحة الذاتية • ووفقا لهذا التحليل ظهرت المجتمعات الحديثة فى الغرب وكأنها نمط مثالى حقق قدرا كبيرا من التباين البنائى الوظيفى ، ودرجة عالية من القدرة التكيفية • وفى مقابل هذا النمط المثالى تقع مجتمعات العالم الثالث التى تقترب أو تبتعد عن هذا النمط المثالى وفق ما توصلت اليه من تباين فى أبنيتها وثقافاتها ووفق ما ترتب على هذا التباين من زيادة القدرة التكيفية لهذه المجتمعات •

واذا حاولنا أن نطبق هذا التحليل على النسق السياسى نجد أن بارسونز يربط بين التباين البنائى الشامل وبين تغير النسق السياسى على النحو التالى : (٢١) •

---

(٢٠) T. Parsons, «Revolutionary Universals in Society», **A.S.R.**, Vol. 29, No. 3. 1964, p. 330.

(٢١) عالج بارسونز النسق السياسى باستفاضة فى المصدر التالى :
T. Parsons, Politics and Social Structure, The Free Press, New York, 1969.

كما ظهرت معالجة لمفهوم بارسونز عن النسق السياسى وبناء القوة فى :
G. Rocher, Talcott Parsons and The American Sociology, trans. B. and S. Menell, Nelson, 1974. First published in France 1972 ; A. Giddens «Power in the Recent writings

(أ) تحقق النظم السياسية قدرا من الاستقلال عن النظم الأخرى ٠

(ب) تصبح الممارسة السياسية أكثر ديموقراطية مـــع وجود قيادة سياسية منتخبة ٠

(ج) يتحول النسق السياسى الى نسق تعددى ، ومن ثم تصبـــح سلطة أخذ القرار متعددة وموزعة ، مع وجود تأثير للجماعات الضاغطة والوحدات المحلية المستقلة ذاتيا ٠

(د) يتحول توزيع القـوة من التوزيـع الصـفرى zero-sum الى التوزيع التعددى ، بحيث لاتتركز القوة فى أيدى جماعة معينة أو صفوة معينة ، وانما تصبح وسيلة اتصال متداولة تستخدم لتحقيق أهداف جمعية ٠

ويعنى ذلك ان النسق السياسى فى المجتمعات الاقل تطورا لم يحقق استقلال جوهريا عن الأنساق الأخرى وما يزال يرتبط بهذه الانساق بروابط قائمة على الانتشار ٠ ولهذا فان الممارسة السياسية أقل ديموقراطية ، والقوة أقل انتشارا ، وهى تتركز فى أيدى صفوة حاكمة سواء على المستوى القومى أو المستوى المحلى ٠ واذا كانت هذه المجتمعات تسعى الى اكتساب القيم القائمة على العمومية والانجاز ، الا أن هذه القيم الجديدة لا تزال تصارع القيم التقليدية التى ترتبط بالخصوصية والعزو ٠ والصفوة هى الحاملة لهذه القيم الجديدة ، وهى التى تسعى الى تشكيلها وصياغتها فى نظم اجتماعية ٠ ورغم اضطلاع الصفوة بهذه المهمة الا أن الصياغة النظامية لهذه القيم الجديدة لا تزال تمر بمرحلة من عدم الاستقرار والصراع (٢٢) ٠

Talcott Parsons», **Sociology**, Vol. 2. 1968, S. Savage, «Political Power and Political Subsystems : Parsons Analysis of Politics», **ES**, Vol. 7, No. 2 1978.

وقد ظهرت ترجمة عربية لكتاب روشيه المشار اليه هنا انظر :
روشيه ، علم الاجتماع الامريكى ، ترجمة محمد الجوهرى وزميله ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ٠

(٢٢) T. Parsons, «**The Evolution of Societies**, edited, with an Introduction by Jackson Toby, Prentice Hall, Englewood Cliffs, New Jersy, 1977, p. 228.

والسؤال المطروح الآن : الى اى مدى انعكست هذه الرؤى النظرية على تحليل البناء السياسى والجماعات السياسية فى مجتمعات العالم الثالث ؟ كتب الجاندروبرتس Alegandro Portes يقول : « يدور علم الاجتماع الذى ظهر كنتيجة للنظريات الكلاسيكية حول استقطاب يظهر فى أشكال نمطية ـ مثالية من التنظيم الاجتماعى . ولقد تم التعبير عن التغير كتحول تدريجى كيفى من الاشكال الاقل تباينا الى الاشكال الأكثر تباينا » (٢٢) . ويعبر هذا النص عن الخط العام للاتجاه الذى نطلق عليه هنا « الاتجاه التعددى الوظيفى » حيث طور أنصار هذا الاتجاه ـ وهم غالبا من اتباع بارسونز ـ الافكار المستمدة من الاعمال الكلاسيكية ، وقاموا بصياغة مجموعة من القضايا المستمدة من بيانات مأخوذة من المجتمعات النامية (وهذا هو المصطلح الذى يطلقونه على المجتمعات التى تقع خارج نطاق العالم المتقدم) ، أو من بيانات مقارنة مستمدة من العالم المتقدم والعالم النامى ، وتم ذلك من خلال الاعتقاد بأن ما يحدث فى مجتمعات العالم النامى الآن ماهو الا تحول تدريجى كيفى من الاشكال التقليدية المتجانسة الى الاشكال الحديثة المتباينة . وبدت الوحدات الاجتماعية للمجتمع (القرى والمدن) ، والتنظيمات الاجتماعية ، والجماعات الاجتماعية (الطبقات والجماعات السياسية وجماعات الصفوة) ، ومظاهر السلوك والثقافة وكأنها تمر بعملية صراع بين القديم الزائل والحديث القادم (٢٤) . وسوف يتضح ذلك بجلاء من خلال عرضنا للقضايا الأساسية لهذا الاتجاه .

---

(٢٣) A. Portes, «On the Sociology of Natioonal Development : Theories and Issues» A.J.S., Vol. 82. No. 1, 1977, p. 63

(٢٤) وقد أنعكس ذلك فى المصطلحات التى يطلقها أنصار هذا الاتجاه على بلدان العالم الثالث ، فهم يطلقون عليها البلدان النامية developing فى مقابل البلدان التى نمت بالفعل developed ، والبلدان التقليدية traditional فى مقابل البلدان الحديثة modern ، والأمم الجديدة new nations فى مقابل الأمم القديمة old nations والدول الحديثة news states فى مقابل الدول القديمة old states وهكذا .

ثانيا : القضايا النظرية للاتجاه التعددى الوظيفى :

أود قبل أن ادخل فى تفاصيل هذا العرض أن أؤكد على نقطتين : الاولى : ان هذا العرض سوف لا ينصب على سرد تعميمات نظرية ، بقدر ما يركز على آراء أنصار هذا الاتجاه حول ثلاث قضايا اساسية : (أ) الرؤية العامة للبناء الاجتماعى فى العالم الثالث وشكل التغير الاجتماعى الذى تصوره، (ب) الشكل العام للتدرج الاجتماعى والجماعات الطبقية ، (ج) البناء السياسى وجماعات الصفوة النقطة الثانية : أن أنصار هذا الاتجاه يطبقون هذه الآراء على تحليل المجتمعات القومية وعلى تحليل المجتمعات المحلية على حـــد ســـواء .

(أ) البناء الاجتماعى وتغيره :

يؤكد أنصار هذا الاتجاه على ان الأبنية الاجتماعية الثقافية لبلدان النامية ابنية تقليدية اذا ما قارناها بتلك الخاصة ببلدان العالم الحديث . فمن خصائص هذه المجتمعات أنها تتصف :

١ ــ ببساطة التكنولوجيا والصناعة وسيطرة الانتاج الزراعى المعيشى، وهو اقتصادى متقلب unsustained ، وبانتشار علاقات القرابة لنوعيه وقوة الروابط الأسرية واهمية الملكية الزراعية والمكانة الموروثة فى تحقيق الهيبة الاجتماعية والنفوذ السياسى (٢٥) .

٢ ــ بالافتقار الى الانجاز وسيادة الخصوصية الأمر الذى يؤدى الى

---

(٢٥) N.J. Smelser, «Toward a Theory of Modernization» in A. and E. Etzioni (eds.) **Social Change**, Basic Books, New York, London, 1964, p. 259, M.F. Millikan and R. Blackmer (eds), **The Emerging Nations, Their Growth and the U.S. Policy**, Asia Publishing House, London, 1962, pp. 4—6 ; and M.I.T. Study Group, «The Transitional Progress» in C.E. Welch, Jr., **Political Modernization**, 2nd ed., Wodsworth Publishing Company, Inc., Belmont, California, 1972. pp. 20 ff.

توزيع الادوار توزيعا قائما على الانتشار بدلا من التخصص ، وكذلك سيطرة المصالح الذاتية (٢٦) • فثقافة هذه المجتمعات تتبلور حول ما أطلق عليه جيلفورد جيرتز G. Geertz « المشاعر البدائية » أو المشاعر الفطرية » Premordial sentiments فى مقابل « المشاعر المدنية » civil sentiments التى تنتشر فى المجتمعات الحديثة (٢٧) •

وتتغير أبنية وثقافة هذه المجتمعات التقليدية من خلال التباين ، الذى بدأ فى الظهور بعد الاحتكاك مباشرة بالغرب • ولو لم يكن هذا الاحتكاك قد حدث ، لم يكن ليحدث أى ضرب من ضروب التغير داخل هذه المجتمعات • فلقد كان للمجتمعات المتقدمة تأثير بالغ على المجتمعات التقليدية ، حيث وضعت تلك الأخيرة فى حالة من الحركة بعد السكون والركود الذى كانت تعيش فيه ، وحقنت فى دمائها ديناميات التحديث • فهذا الاتصال هو الذى خلق من الظروف ما يمكن ابنية وثقافات هذه المجتمعات من أن تخبر عملية التباين التى هى أساس التغير • والمثال الطرازى على هذا التباين هو استبعاد الأسرة عن أداء بعض وظائفها السابقة (كالنشاط الاقتصادى والتعليم • ومن الأمثلة الأخرى فصل الممارسة السياسية عن الصراعات القبلية والانتماءات القرابية، وتباين الأدوار المهنية حيث يتم فصلها عن سياقاتها التقليدية ووضعها داخل ابنية متخصصة الأمر الذى ترتب عليه تعدد الجماعات المهنية (البيروقراطيون ، والمنظمون ، والعمال ، والفلاحون) بدلا من تجانسها فى أشكالها التقليدية (٢٨) •

ويصاحب هذا التباين البنائى تباين على المستوى الثقافى • ويذهب

---

(٢٦) B. Hosiitz, op. cit., pp. 30—41.

(٢٧) G. Geertz, «The IntegrativeRevolution : Primordial Sentiments and Civil Politics in the New States», in G. Geertz (ed.) **Old Societies and New States**, The Free Press, N.Y., 1967, pp. 112—113.

(٢٨) L. Fallers, «Equality, Modernity and Democracy in The New States», in G. Geertz (ed.) op. cit., pp. 181—193.

هو سيلتز فى هذا الصدد الى أن التغير تجاه العقلية الحديثة يتطلب سيادة القيم القائمة على الانجاز ، والعمومية ، والتخصص ، والحياد الوجدانى ، والمصالح الجماعية (٢٩) • وبهذا تتحول الثقافة المتجانسة التقليدية الى ثقافة متنوعة • ومصدر هذا التنوع هو نشر ثقافة المجتمعات الحديثة الى هذه المجتمعات • ولقد أطلق لوسيان باى Lucian Bye على هذه العملية «عملية نشر الثقافة العالمية » diffusion of World Culture تلك الثقافة التى تقوم على التكنولوجيا المتطورة وروح العلم ، والنظرة الرشيدة الى العالم، والاتجاه العلمانى فى العلاقات الاجتماعية ، والشعور بالعدالة فى الامور العامة، وفوق كل ذلك ، وعلى النطاق السياسى ، قبول الاعتقاد بأن الوحدة الاولى للسياسة هى الدولة ـ الامة (٣٠) •

غير أن هذا التباين فى البناء والثقافة لم يصل الى أقصى درجاته •

---

(٢٩) Hositits, **op. cit,** pp 42—49.

(٣٠) Quoted in C.E. Welch, jr., «The Comparative Study of Politics» in C.E. Welch, op. cit., p. 4.

ويؤكد كتاب آخرون نفس القيم ولكن بطرق أخرى / : فدانيال ليرنر يذهب على سبيل المثال الى أن « الانسان الحديث » يجب أن يكتسب القدرة على التقمص الوجدانى ، التى تزوده بقدر من المرونة الداخلية تمكنه من التوحد مع موضوعات مختلفة ومواقف مختلفة فى أثناء عملية التحول ، وان يشارك فى هذه العملية • ويعدد اليكس انكلس تسعة اتجاهات أساسية تميز الانسان الحديث هى : الاستعداد للتجديد ، والقدرة على تكوين الآراء ، واكتساب التوجه الديموقراطى ، واكتساب العادات الفردية المرتبطة بالتخطيط ، والاعتقاد فى الكفاءة البشرية ، وان العالم قابل للعد والقياس ، والايمان بالكرامة البشرية والشخصية، والايمان بالعلم والتكنولوجيا ، وعدالة التوزيع • انظر :

D. Lerner, **The Passing of Traditional Society,** The Free Press of Glencoe, London, 1964. p. 5., and A. Inkles, «The Modernization of Man» in W. Weiner (ed.), **Modernization : The Dynamics of Growth,** Basic of Growth, Basic Books, Ins., N. Y., London, 1966. pp. 138—50.
pp. 138—50.

فلا تزال المجتمعات التقليدية فى حالة تحول • وتنعكس ظروف حالة التحول هذه على البناء الاجتماعى فيبدو غير مستقر الى حد بعيد • فغالبا ما يوصف التحول أو التغير الذى تمر به المجتمعات التقليدية بأنه تغير غير متسق uneven • ويمكن أساس عدم الاتساق هذا فى عملية التباين ذاتها • فالعناصر البنائية والثقافية المتباينة تبدو غير متسقة ، كما أن التناقض الذى يحدث بين العناصر التقليدية الزائلة والعناصر الحديثة القادمة يعمق من حدة عدم الاتساق هذا • ومن مظاهر عدم الاتساق زيادة معدلات التغير الاقتصادى عن معدلات التغير الثقافى ، وظهور جماعات تتبنى القيم الحديثة فى مقابل تمسك جماعات أخرى بالقيم التقليدية ، وعدم ارتباط التباين بظهور بعض الروابط التكاملية أو الميكانيزمات التكاملية القومية •

ولهذا نجد نيل سملسر يؤكد ـ على سبيل المثال ـ ان التباين لاتصاحبه فى الغالب بعض القوى التكاملية التى تجمع العناصر المتباينة جنبا الى جنب، وتنسق بينها وتكسبها قدرا من التضامن • ومن أمثلة هذه القوى التكاملية التى لم تظهر بعد • نقابات العمال ، والاحزاب السياسية ، والهيئات التطوعية ، والجماعات الضاغطة • وفى حالة ظهور بعض هذه القوى ، فانها غالبا ما تفشل ـ بسبب طبيعتها القبلية ـ فى مواجهة المشكلات الناجمة عن عملية التغير • ويترتب على ذلك قدر كبير من الاضطراب الاجتماعى ، ومن مظاهر عدم الاستمرار التى تتجسد فى القلق والعداوة والخيال الجامح الذى يميز العديد من الحركات الاجتماعية (٣١) • ولا شك أن المجتمعات تختلف فيما بينها فى درجة تطويرها لنظم ، وجماعات ، وميكانيزمات تساهم فى وضع مبادىء للتكامل الاجتماعى ، وبناء على ذلك فانها تختلف فى درجة القابلية للتكيف الداخلى مع ظروف التغير ، وفى درجة تشكيل هذا التغير داخل نظم اجتماعية • وكلما كان المجتمع أكثر قدرة على التكيف الداخلى والمرونة كان أكثر قدرة على التغلب على مشكلات التحول (٣٢) •

---

(٣١) N. Smelser, op. cit., pp. 267—273.

(٣٢) S.N. Eisenstait, «Transformation of Social, political and Cultural Orders in Modernization» A.S.R. Vol. 30. No. 5, 1965, pp. 659—673.

(ب) التدرج الاجتماعى والجماعات الطبقية :

كتب هوسلتز يقول: « يقوم البناء العام للطبقات (فى المجتمعات النامية) بصورة مطلقة على ثنائية بين جماعتين رئيسيتين : الصفوة والجماهير. وتتضمن عضوية الصفوة عادة تملكا للقوة السياسية، ودرجة عالية نسبيا من التعليم ، والسيطرة بشكل مباشر أو غير مباشر على أجزاء كبيرة من ثروة المجتمع ، أما عضوية الطبقة الدنيا ، والتى تضم الجماهير العريضة من السكان ، فانها تفتقر الى القوة السياسية ، ويسود فيها الفقر ، والدخل المنخفض ، ولا يوجد لديها عادة أى قدر من التعليم وان وجد فهو ضئيل جدا . أما الطبقة الوسطى فهى نادرة الوجود ، وان وجدت فهى صغير وليس لها من أهمية تذكر فى هذه المجتمعات » (٣٣) .

ويشير هذا النص الى أن التدرج الاجتماعى القائم على وجود الطبقات لم يظهر بعد فى المجتمعات التى تمر بعملية التحول من البنى التقليدية الى البنى الحديثة . فلا تزال الجماهير متجانسة الى حد كبير ، وهى تعيش فى مستوى اقتصادى اجتماعى متجانس . ويعيش فوق هذه الجماهير الغفيرة طبقة عليا أو صفوة تتناقض فى أسلوب حياتها وفى ما تمتلكه من تعليم ودخل مع الطبقة الدنيا أو الجماهير . وفى مثل هذه الظروف يندر وجود طبقة وسطى . فلم تقطع هذه المجتمعات فى طريق التحول الاقتصادى ـ الاجتماعى ذلك الشوط الذى يمهد الطريق لظهور طبقة وسطى تسد الفجوة بين الطبقتين، وتخلق نمطا للتدرج الاجتماعى يقوم على علاقات الطبقة وليس على علاقات الصفوة . ويبدو أن تحول هذه المجتمعات وتباين أبنيتها مرتهن بظهور الطبقة الوسطى .

ويصف لويد فالرس Lloyd Failers نسق التدرج الاجتماعى فى الدول الجديدة (أى دول العالم الثالث) على أنه هرم دقيق القمة ذو قاعدة

---

(٣٣) B. Hoselitze, «Social Stratification and Economic Development», I.S.S.J., Vol. 16, No. 2. 1964, p. 240,

عريضة اذا قارناه بنظيره فى المجتمعات الغربية (٣٤) • ويساير هذا الوصف وصف هوسيلتز الذى اقتبسناه منذ قليل • فالقمة طبقة صغيرة الحجم أو صفوة ، والقاعدة جماهير غفيرة من الناس ، بدون وجود فئات وسطى • ويقدم فالرس تفسيرا لعدم وجود مثل هذه الفئات الوسطى • وهو يذهب الى القول بأن الغالبية العظمى من سكان المجتمعات النامية لا ينخرطون فى أبنية متباينة حديثة ، تلك الأبنية التى لم تحقق هى نفسها سوى درجة منخفضة من التباين • ويؤدى هذا الى ظهور نوع من الاستقطاب فى التدرج الاجتماعى حيث تتربع الصفوة على القمة المدببة للهرم الطبقى ، وتوجد الجماهير فى قاعدته (٣٥) • غير أن بعض العلماء يميل الى تقديم تفسير آخر لعدم وجود الطبقة الوسطى • فنجد أيزنشتات ـ على سبيل المثال ـ يربط بين عدم وجود هذه الطبقة وبين سلوك الصفوة وسياساتها • فالصفوة تحاول التقليل بقدر الامكان من تطورات مستقلة للطبقة الوسطى والطبقة العاملة ، بل انها تخضع سلوك هذه الجماعات الى موجهات سياسية (٣٦) •

ومع ذلك فان بعض الباحثين ممن ينتمون الى هذا الاتجاه يذهبون الى القول بأن هذه المجتمعات قد حققت بالفعل قدرا من التباين أدى الى ظهور نسق للتدرج الاجتماعى الطبقى ، تحتل فيه الطبقة الوسطى مكانة بارزة • ومن هؤلاء هالبرن Halpern الذى اهتم اهتماما خاصا بمجتمعات الشرق الاوسط (٣٧) • ذهب هالبرن الى القول بأن مجتمعات الشرق الأوسط قد شهدت نمو طبقة وسطى جديدة من السياسيين العسكريين والمدنيين ، والمنظمين ، والمديرين والخبراء • وتختلف هذه الطبقة عن نظيرها فى المجتمعات الصناعية • ويرجع ذلك الى طبيعة التطور فى كلا الحالين • فمجتمعات الشرق الأوسط تحركت مباشرة الى العصر الادارى دون المرور

---

(٣٤) Fallers, op. cit., p. 186.

(٣٥) Ibid., p. 150.

(٣٦) Eisenstadt, op. cit., p. 319.

(٣٧) M. Halpern **The Politics of Social Change in the Middle East and North Africa**, Princeton University Press, New Jersay, 1963.

بعصر الآلة • وقد ترتب على ذلك أن حققت طبقة الموظفين لنفسها قدرا من القوة ، قبل أن تحقق المكانة والأمن والرخاء الاقتصادى الذى تستند عليه هذه القوة • وقد ترتب على ذلك أن استخدمت هذه الطبقة قوتها « للمحافظة على النظام والملكية ولكن لخلق النظام والملكية ـ وهو عمل ثورى يتم تحقيقه حتى الان دون التزام نهائى بأى نسق معين من النظم » (٣٨) •

وتقف هذه الطبقة الوسطى بين طبقتين : الطبقة العليا وهى ـ عند هالبرن ـ الصفوة التقليدية التى يتقلص دورها باستمرار ، والتى تتكون من العائلات الملكية القديمة ، وكبار ملاك الأرض ، والطبقة العليا الحضرية (البرجوازية التقليدية) • وتفقد هذه الطبقة العليا ـ الصفوة ـ قوتها باستمرار ، وذلك بالرغم من تحول بعض أعضائها الى موقف الطبقة الوسطى• أما أعضاء الطبقة الدنيا فهم العمال ، والفلاحون ، وهما فئتان جمعهما هالبرن فى طبقة واحدة أطلق عليها الطبقة الدنيا أو الجماهير المغلوبة على امرها Powerless masses (٣٩) •

غير أن تحليل هالبرن يكشف عن أن هذه الطبقة الوسطى تخلق بدورها استقطابا من نوع جديد بينها وبين الجماهير بحيث يظهر التدرج الاجتماعى فى شكل مستقطب طبقتين اثنتين : هذه الطبقة الوسطى الجديدة من ناحية، والطبقة الدنيا من ناحية أخرى • فالطبقة العليا ـ فى صياغة هالبرن ـ فى طريقها الى الزوال ، ويتحول الكثير من أعضائها الى موقف الطبقة الوسطى باستمرار • وفى نفس الوقت تعمل الطبقة الوسطى الجديدة كصفوة جديدة تحل محل الصفوة التقليدية المتداعية • وقد يترتب على ذلك أن تستحوذ هذه الطبقة ـ الصفوة ـ الجديدة على مقدرات الأمور وتمنع الطبقات الأخرى من الصعود بنفس الكيفية • وقد أكد هالبرن هذا عندما أكد على حقيقتين :

الأولى : أن ظروف التحول قد جعلت الممارسة السياسية فى مجتمعات الشرق الأوسط لعبة تمارس داخل الطبقة الوسطى فقط (٤٠) -

---

(٣٨) Ibid., p. 52.

(٣٩) Ibid., pp. 41—50.

(٤٠) Ibid., p. 74.

الثانية : أن هذه الطبقة الوسطى الجديدة لم تنجح فى أن تسد الفجوة التقليدية التى تفصل بين الريف والمدينة (٤١) ٠

ويدل ذلك على أن ظهور الطبقة الوسطى لا يحول التدرج الاجتماعى فى البلدان النامية الى تدرج مستقر نسبيا ، كما أنه لا يقضى نهائيا على خاصية الاستقطاب الكامنة فيه ٠ وهذا شىء طبيعى طالما أن هذه المجتمعات لا تزال تعيش مرحلة التحول والتباين التعددى ، وطالما أنها لم تصل الى الصورة المثالية التى يجب أن تصل لها ، وأعنى صورة المجتمع الغربى الديموقراطى ٠

(ج) البناء السياسى وجماعات الصفوة :

طالما ان المجتمعات التقليدية لا تزال فى مرحلة التحول ، فان الأنساق السياسية والممارسة السياسية فى هذه المجتمعات لا يمكن أن توصف من خلال نفس المقولات التى توصف بها هذه الانساق وتلك الممارسة فى المجتمعات الغربية ٠ فهى ليست أنساقا ديموقراطية والمجتمعات برمتها ليست مجتمعات ذات نظم متعددة الدعائم Polyarchies تعرف قدرا هائلا من الكفاءة فى عملية اصدار القرار السياسى أو الممارسة السياسية ٠ ولكن توصف هذه المجتمعات ـ من حيث درجة تطور أنساقها السياسية ـ بأنها مجتمعات ذات نظم أحادية hegemonies وذلك تمييزا لها عن المجتمعات ذات النظم المتعددة الدعائم والتى توجد فى الغرب (٤٢) ٠ ويقوم هذا التمييز على درجة شمول أو عمومية التنظيمات السياسية Political inclusiiveness ودرجة التنافس السياسى Political competitiveness

---

(٤١) Ibid., p. 95.

(٤٢) R. Dahl, **Polyarchy : Participation and Opposition**, Yale University Press, New Haven, 1971, **Regims and Opposition**, Yale University Press, New Haven, 1973 ; The introduction of G. Almond (ed.) **Comparative Politics Today**, Little Broum and Company, Boston Toronto, 1974. pp. 26—28/.

ففى النظم المتقدمة ، متعددة الدعائم ، تسود أعلى درجة من الشمول السياسى وأعلى درجة من التنافس السياسى ، أما المجتمعات الأحادية فانها لا تعرف الا أدنى درجة من هاتين الخاصيتين • وبناء على ذلك فان المجتمعات ذات النظم متعددة الدعائم تعرف أقصى درجة من الديموقراطية ، بينما تسود التسلطية بدرجات متفاوتة فى المجتمعات التقليدية ، ويترتب على ذلك أن تتركز القوة ـ فى تلك الأخيرة ـ فى أيدى مجموعة صغيرة من الافراد ولا تتوزع على جماعات متعددة كما هو الحال فى الأنساق الديموقراطية (٤٣) •

ويعكس هذا مستوى التطور السياسى غير المتسق الذى تمر به المجتمعات التقليدية ، ويقاس التطور السياسى فى نظر أصحاب هذا الاتجاه فى ضوء بعض المتغيرات منها : زيادة عدد المواطنين المشاركين فى الممارسة السياسية ، كفاءة النسق السياسى ، تباين النسق السياسى ، تخصص النسق السياسى وتكامل وحداته المكونة (٤٤) • وتمثل هذه المتغيرات فى مجموعها نموذجا مثاليا للتطور السياسى لاتقترب منه الا الدول الديموقراطية المتقدمة • أما الدول ـ الأمم الحديثة التى تسلمت السلطة من الحكومات المركزية ، فلا تستطيع أن تصل الى هذا النموذج المثالى بسهولة • وذلك بسبب الطبيعة غير المستقرة للتحول الذى تمر به من ناحية ، وبسبب طبيعة الافراد الذين تسلموا السلطة فى هذه البلدان من ناحية أخرى • فقد كانت

---

(٤٣) يحاول علماء السياسة ممن يهتمون بالدراسة المقارنة ان يشيدوا نماذج مقارنة مؤسسة على التفرقة بين المجتمعات التى تتوزع فيها القوة توزيعا تعدديا وتلك التى تعرف التوزيع الأحادى ، موضحين الدرجات المختلفة للتعددية والأحادية بين هذين القطبين • انظر حول هذه النماذج :

G. Almond and J. Coleman, **The Politics of the Deveioping Areas,** Princeton University Press, New Jersay, 1960.

(٤٤) L. Paye, «Political Culture and Political Development» in L. Paye and . Verba (eds.) **Political Culture and Political Development,** Princeton University Press, N.J., 1965 p. 13.

النتيجة الحتمية التى ترتبت على كلا الظرفين هى ظهور صفوة حاكمة على المستوى القومى ولها امتداداتها الاقليمية المحلية ٠

ففى ظروف التحول غير المستقر يمر المجتمع بحالة من عدم الاتساق وعدم التجانس تخلق داخله مشكلة نظام ، يتم حلها من خلال فرض التكامل فرضا من خلال جماعات الصفوة ٠ وقد كتب ايزنشتات فى هذا الصدد يقول : « تكمن المشكلة الرئيسية فى تطور النظم السياسية فى البلدان الجديدة فى ضرورة تطوير تدعيم اجتماعى للمحافظة على الجوانب المختلفة والمتناقضة أحيانا ـ للأطر النظامية الحديثة ٠٠ وينتج عما يتسم به التغير من عدم استقرار تطور غير متسق لأنماط مختلفة من الدافعية والتوجه ترتبط بجوانب مختلفة من الاطار النظامى ٠٠ ومع تحقيق الاستقلال ٠٠ بدت كل أشكال التطور وكأنها تنبع من الانشطة التى تقوم بها صفوة سياسية ، حاولت أيضا أن تؤكد رقابتها على أشكال التطور هذه ، وتنظر الصفوة الى نمو مراكز مستقلة للسلطة والى استقرار جماعات سياسية جديدة ومصالح جديدة على أنه تدخل فى استقرار الاطار النظامى الأساسى الجديد وفى الولاء العام للرموز المشتركة الجديدة (٤٥) ٠ ويشير هذا النص الى أن الصفوة تعمل بمثابة اداة للتكامل ـ من وجهة نظرها على الاقل ـ فى المجتمعات النامية ٠ ولقد ظهرت فكرة دور الصفوة فى تحقيق التكامل ، ظهرت بجلاء عند ليونورد بايندر Leonard Binder حيث استخلص النتائج التالية فى حديثه عن التكامل القومى أثناء فترة التحول (٤٦) :

١ ـ يتطلب التكامل القومى خلق اجماع ايديولوجي ـ ثقافي عام

٢ ـ وتضطلع الانساق السياسية ـ فى أثناء خلق مثل هذا الاجماع ـ بمسئولية تفوق مسئولية غيرها من الأنساق ٠

---

(٤٥) Eisenstadt, «Political Development», in A and E. Etzioni (eds.) op. cit., pp. 320–321.

(٤٦) L. Binder, «National Integration and Political Development A.P.S.R. Vol. 58. 58, No. 3, 1964, p. 630:

٣ ـ ويعتمد نجاح هذه العملية على خلق شريحة اجتماعية تكون قادرة ـ بحكم تنشئتها وتعليمها ـ على طرح صيغة تآلف سلوكى وأيديولوجى بين القيم التقليدية والقيم الحديثة ، بل انها يجب أن تكون راغبة فى طرح هذه الصياغة ٠

وفى ضوء هذا التحليل فان المهمة الأساسية المنوطة بالصفوة هى بث قيم الحداثة فى المجتمع ، والتغلب على مشكلات التكامل التى تفرضها هذه المهمة ٠ ان عليها أن تخلق أو تقوم « بثورة تكاملية » (٤٧) Integrative revolution تلم شمل المجتمع وتجمع شتاته ٠ وأداتها فى ذلك هى خلق نوع من « الديانة السياسية » (٤٨) أو ما يميل ادوارد شيلز الى تسميته « بالقيم المركزية » (٤٩) ٠ Central values وهى مجموعة القيم الاجتماعية والسياسية التى تتبناها الصفوة وتحاول فرضها من أعلى ، أو نشرها من المركز الى التوابع الاقليمية ٠

واذا كانت ظروف التحول هى التى تنتج وجود الصفوة ، فان الخصائص التى تسم أعضاء الصفوة واتجاهاتها ، وتصورات اعضائها عن أنفسهم ، كل هذه الأشياء تدعم وجود الصفوة ٠ وقد أشرت من قبل الى ماذهب اليه ايزنشتات من أن الصفوة تحاول جاهدة الحيلولة بين الفئات الوسطى الناشئة وبين الجماعات ذات المصالح التى تهدد وجودها وبين تحقيق وضع سياسى مستقر ٠ ولقد أشار ادوارد شيلز الى أن الجماعات الحاكمة فى بلدان العالم الثالث ، لا تنظر الى نفسها على أنها متساوية مع بقية أفراد

---

(٤٧) قدم هذا المصطلح جيلفورد جيرتز فى مقاله السابق الاشارة اليه واستخدمه لينورد بايندر فى المقال التالى ٠

L. Binder, «Egypt : The Integrative Revolution», in L. Pye and S. Verba, **op. cit.**

(٤٨) D. Apter, «Political Religion in the New States» in G. Geertz, op. cit. pp. 59 - 104.

(٤٩) E. Shils, **Center and Periphery : Essays in Macro-Sociology**, The University of Chicago Press, Chicago, 1975.

المجتمع • على العكس من ذلك تماما ، انهم يتصورون أنفسهم على أنهم أكثر أهمية • فقد تكونت جماعات الصفوة الحاكمة من خلال ظروف خاصة ترتبط بنضال هذه الصفوة ضد الاحتلال أو التفاوض معه أو كليهما معا • وحدث أن طورت كثير من صفوات بلدان العالم الثالث بعض الافكار القومية فى أثناء هذا النضال ، الأمر الذى ترتب عليه أن أصبح افراد هذه الصفوات يجسدون ـ أو هكذا يعتقدون ـ الهوية القومية والمشاعر القوميـة لبلدهم ، وأصبحوا يتصورون انفسهم وكأنهم أمناء على شعبهم وعلى مصالحه (٥٠) •

والحقق أن أنصار هذا الاتجاه ينظرون الى معظم الصفوات ـ خاصة الصفوة المتعلمة ـ على أنها أكثر الجماعات فى المجتمع حملا لصفات الغرب أو لسمات التحديث ، بل أصبح اكتساب هذه السمات ظرفا ضروريا لعضـوية الصفوة • ولقد أوضح لوسيان باى هذه النقطة بجلاء عندما تحدث عن الانقسام بين الثقافة السياسية الخاصة بالصفوة ، وتلك الخاصـة بالجماهير من ناحية ، والانقسام بين الافراد الذين خبروا عملية تثقف والافراد الذين مازالوا يحملون الثقافة التقليدية من ناحية أخرى • وأكد لوسيان باى أن هذين النمطين من الانقسام يلتقيان فى بعض المجتمعات كالهند ومصر ، حيث تتكون ثقافة الصفوة الى حد كبير من توجيهات ذات نطاق عالمى cosmopolitan فى حين تضم ثقافة الجماهير الافراد ذوى التوجيهات التقليدية (٥١) •

---

(٥٠) المرجع السابق ، ص ٤٢٩ • ولقد حاول شيلز هنا أن يقدم تفسيرا لهذه الظاهرة جنبا الى جنب مع ظاهرة انخفاض معدل الكفاءة فى البلدان النامية • ذهب شيلز الى أن الأمة « تصبح فى هذه الحالة موضوعا كارزميا ، وهو يشبع هذه الكاريزما على الافراد الذين يتوحدون معه • والافراد الذين يدخلون فى دائرة الصفوة هم أكثر الافراد توحدا مع هذا الموضوع ، ومن ثم فانهم يشعرون بانهم يتملكون كاريزما قومية أكثر من غيرهم • ويعتقد شيلز أن التطور فى هذه البلدان مرهون بانتقال هذه الكاريزما من النطاق السياسى الى النطاق الاقتصادى وكل المجالات الاخرى • انظر المرجع السابق ، ص ص ٣٠٨ ـ ٤١٥ •

(٥١) L. Paye, op. cit., p. 17.

ومع ذلك ، فان التعليم يبدو وكأنه يقف خلف هذه الوجهة العالمية لثقافة الصفوة • فالتعليم يعد عاملا هاما فى تكوين هذه الصفوة التى تمثل الثقافة الحديثة ، والتى تقف بما تتسلح به من ثقافة وعلم فى مقابل الصفوة التقليدية التى تدافع عن المجتمع التقليدى والثقافة التقليدية • فقد أوضحت دراسة تنطلق من هذا الاتجاه ، أجريت على عينة من ١٫٤٥٣ مبحوثا من أربعة مجتمعات افريقية ممن يشكلون الصفوة (الجديدة) فى هذه المجتمعات، أوضحت أنه لا يوجد بين هذه العينة فرد واحد لم يحصـــل على تعليم رسمى • بل ان نسبة عالية من هذه العينة (حوالى ٧٧٪) تشغل وظائف رسمية : كالمديرين وكبار الموظفين والقضاة ، فى حين وصلت نسبة الذين يعملون كمنظمين حوالى ٢٪ فقط (٥٢) • وتكشف هذه الدراسة بجلاء عن أهمية التعليم فى تكوين الصفوة ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال الى أن الأساس الذى تم بناء عليه اختيار عينة البحث يركز على الدخل المرتفع وعلى الوظائف العليا كأساس لعضوية الصفوة •

غير أن هذه الصفوة ليست هى الصفوة الوحيدة الموجودة فى المجتمعات النامية ، انها الصفوة الجديدة التى تمثل الثقافة الحديثة • وطالما أن المجتمع ما يزال يمر بعملية التحول ، فانه من الطبيعى أن توجد الصفوة التى تمثل الثقافة الحديثة ، وتلك التى تمثل الثقافة التقليدية ، مع وجـــود قدر من التداخل بطبيعة الحال ، وأن تتشكل الممارسة السياسية من خلال المواقف المختلفة لهذه الجماعات • فقد كتبت سوزان كيلر حول تكوين الصفوة فى البلدان النامية تقول : « يسعى القادة التقليديون (فى هذه البلدان) للمحافظة على ما يحاول الشـــباب التقدمى المدرب تدريبا غربيـــا أن ينتزعـــه من أيديهم » (٥٣) • كما ذهب ادوارد شيلز الى أن الزعماء التقليديين من البلدان النامية يتخوفون من أن يمزقهم الجيل الصاعد اربا اذا ما أعطوهم واجهـــة

---

(٥٢) Gordon M. Wilson, «The African Elite» in S. Diamond and F.G. Durke (eds.) **The Transition of the East Africa, Studies in Political Anthropology**, Basic Books, Inc., New York, London, 1966, pp. 435—439.

(٥٣) S. Keller, **op. cit.**, p. 121.

سياسية يعبرون بها عن آرائهم (٥٤) • ولكن ما هى الأسباب الكامنة خلف هذا التوتر بين جماعات الصفوة التقليدية والجديدة • الحقق أن هذه الاسباب ترتبط بالثنائية الكامنة فى البناء الاجتماعى ذاته ، وظروف التحول غير المتسق الذى يمر به • وينعكس ذلك فى نقطتين يتم التركيز عليهما عند دراسة الصفوة القديمة والجديدة من هذا المنظور :

١ ـ المقارنة بين وضع متقلص للصفوة التقليدية ووضع نام للصفوة الجديدة • واذا كان التفاعل بين « التقليد » و « التحديث » فى عناصر البناء الاجتماعى يؤدى الى التقلص المستمر للعناصر التقليدية والنمو المستمر للعناصر الحديثة ، فان الصفوتين القديمة والجديدة تعكسان نفس التفاعل وتجسدانه • وهناك جانبان لهذه المسالة : (٥٥) •

الأول : أن اختفاء الصفوة التقليدية يبدو وكأنه مستلزم اساسى لعملية التحديث ، من حيث أن الافراد الذين يأخذون على عاتقهم عمليات التحديث ينتمون بالضرورة الى الصفوة الجديدة •

الثانى : أن الصفوة الجديدة ذاتها تفهم « الحداثة » على أنها تتضمن اقصاء الافراد ذوى السلطة التقليدية أصحاب المصالح فى المجتمع التقليدى من امثال زعماء القبائل والزعماء الدينيين ، فضلا عن احلال نظم جديدة جمهورية وديمقراطية محل النظم الملكية والارستقراطية القديمة •

٢ ـ يرتبط تعريف الصفوة الجديدة بالدور التحديثى الذى يجب أن تقوم به هذه الصفوة ، حيث يرتبط هذا التعريف باكتساب صفات الثقافة الغربية واهمها على الاطلاق فى التعليم على النمط الغربى • ولقد ظهر ذلك من خلال بعض الاشارات فى العرض السابق • وتأكد أيضا من خلال مجموعة

---

(٥٤) E. Shils, op. cit., p. 466.

(٥٥) اتضح ذلك فى اعمال ماكس ميليكان ، وهالبرن ، وادوارد شيلز وليرنر السابق الاشارة اليها •

من الدراسات عن الصفوة الجديدة فى مجتمعات افريقيـــا ، حيث تم تعريف الصفوة الجديدة بانها « اولئك الافراد الذين تلقوا تعليما غربيا ووصلوا الى درجة من الثراء تفوق نسبيا المستوى الشائع لـــدى الجماهير»(٥٦) . أما الصفوة التقليدية فانها تختلف كثيرا عن ذلك فهى تضم الزعماء التقليديين الذين يتمتعون بمكانة الصفوة فى دائرة منطقتهم العرقية ، أو مدينتهم أو قريتهم وعلى أسس تختلف عن الأسس التى تقوم عليها مكانة الصفوة الجديدة (٥٧) . وفى دراسة مقارنة للصفوة الجديدة فى أفريقيا وآسيا تم تعريف أعضاء الصفوة الجديدة بأنهم « الافراد الذين تعلموا وفقا للنمط الغربى ، وفى أحوال كثيرة فى مدارس وجامعات فى أوربا الغربية ، وهم الافراد الذين شـــكلوا القوة الرائدة لتحقيق الاستقلال » (٥٨) . وأخيرا ففى دراسة عن الصفوة الجديدة فى نيجيريا ، تم تعريف الصفوة الجديدة بأنها نتاج عمليات اكتساب صفات الغرب ، والتحضر والتنمية السياسية ، انها جماعة من الافراد العصاميين الذين تلقوا تعليما غربيا والذين يعملون فى وظائف غيـــر تقليدية تكسبهم قوة وهمية داخل مجتمعاتهم المحلية » (٥٩) . والواضح هنا أن الانجاز من خلال التعليم هو الأساس الذى تقوم عليه الصفوة الجديدة . حقيقة أن جماعة الصفوة هذه تحقق قدرا من الثراء ، غير أن هذا الثراء لا يأتى الا من خلال التعليم ذاته .

وهكذا عكست رؤية أنصار هذا الاتجاه للبناء الاجتماعى بعامة ، وللتدرج

---

(٥٦) P.C. Lloyd, «Introduction» in Lloyd (ed.) **The New Elite of Tropical Africa,** Oxford University Press, London, 1966, Reprinted in 1970, p. 4.

(٥٧) Ibid., p. 114.

(٥٨) T. Kerstiens, **The New Elite in Asia and Africa : A Comparative Study of Indonesia and Ghana,** Frederick A. Praeger, Publisher, New York, 1966. p. 21.

(٥٩) H. and N. Smythe, **The New Nigerian Elite,** Stanford University Press, California, 1960, p. 165.

الاجتماعى وجماعات الصفوة بخاصة الفكرة الأساسية التى يدور حولها هذا الاتجاه ، وهى فكرة تحول المجتمع التقليدى من مجتمع متجانس راكد الى مجتمع متباين ـ متعدد يسعى نحو تحقيق أكبر قدر من الاداء الوظيفى • ولقد انصبت آراء العلماء هنا على رصد ديناميات التغير والجماعات الفاعلة فيه ، وظروف تحقيق التكامل فى هذا البناء المتغير • ولقد انتهت هذه الآراء ـ فيما يتعلق بالنسق السياسى والتدرج الاجتماعى ـ الى نظرية للصفوة ترتبط ارتباطا وثيقا بطابع البناء المتحول وخصائصه • وسوف يتحول الاهتمام الآن الى توضيح مدى انعكاس هذه الرؤية العامة فى بحوث امبيريقية أجريت فى مجتمعات محلية ريفية •

ثالثا : اتجاهات البحث الامبيريقى فى المجتمعات الريفية :

كما أشرت من قبل فان هذا الاتجاه يلقى انتشارا واسعا بين الباحثين المهتمين بالعالم الثالث بتأثير من سيطرة علم الاجتماع الغربى • وقد انعكس ذلك على البحوث الامبيريقية التى أجريت حول تكوينات الصفوة فى القرى • ولقد اهتمت هذه الدراسات بثلاثة موضوعات أساسية عكست التطور الذى طرأ على نوعية البحوث ومجالات الاهتمام المتفرعة عن الاتجـــاه الوظيفى التعددى • فقد ظهر فى البداية اهتمام بموضوعين : الأول : محاولة رصد التباين الذى يحدث فى المجتمع بعامة وفى المجتمعات الريفية بصفة خاصة ، وانعكاس هذا التباين على بناء السلطة والقوة وتكوين الصفوة فى المجتمعات الريفية ، وانفصال كل هذه الأبنية والتكوينات عن أطرها التقليدية وخاصة علاقات القرابة • والثانى : محاولة دراسة تأثير التعليم واكتساب صفات الغرب بصفة عامة (وهو مؤشر الحداثة عند أنصار هذا الاتجاه) على ظهور صفوة جديدة تحاول أن تأخذ بزمام الأمور من الصفوة التقليدية • ثم تطور مجال الاهتمام بعد ذلك فانصب على دراسة علاقة البناء السياسى المحلى بالبناء السياسى القومى ، فكان الموضوع الأساسى الثالث الذى دارت حوله البحوث الامبيريقية • وتنظر معظم الدراسات هنا الى البناء السياسى على المستوى القومى على أنه يمثل قيما وممارسة سياسية حديثة ، وفى هذه الظروف فان ارتباط المجتمعات الريفية المحلية بالنطاق القومى يخلق داخل هذه المجتمعات توترا بين الصفوة الجديدة التى ترتبط بالمستـــوى القومى وبين الصفوة التقليدية التى تصارع هذا التغير • وتتم الاشارة فى بعض

الأحيان الى فشل الصفوة الجديدة فى ازاحة الصفوة التقليدية وذلك فى المجتمعات التى تنتهج فيها الحكومات القومية سياسة تقليدية أو تستخدم الزعماء التقليديين فى تحقيق التكامل الذى تنشده • وسوف أعرض فيما يلى لنماذج من هذه البحوث التى دارت حول هذه الموضوعات الأساسية الثلاثة • ولن ألتزم بالترتيب التاريخى لظهور هذه البحوث ، وانما سوف أركز على نطاقات جغرافية ، بحيث ابدأ من بحوث أجريت خارج نطاق المجتمعات العربية ، ثم البحوث التى أجريت فى المجتمعات العربية ، وأخيرا البحوث التى أجريت داخل المجتمع المصرى ، وذلك داخل الموضوعات الثلاثة السالفة الذكر •

١ ـ الموضوع الأول : التباين والأسس الجديدة للقوة :

فى مجموعة من الدراسات عن الصفوة الجديدة فى افريقيا المدارية ظهر الاهتمام بتأثير التغيرات المجتمعية على ظهور أسس جديدة للمكانة تختلف عن الأسس التقليدية وذلك بناء على دخول الثقافة الغربية الى هذه المجتمعات• فقد تتبع بريستلى Priestly حالة أسرة تعيش على الساحل الغربى لافريقيا وتوصل من خلال دراسته الى أنه يمكن أن تظهر داخل النسق العشائرى أسرة تكشف عن مدى التأثر بالثقافة الغربية ، حيث ظهر داخل هذه الأسرة الاتجاه نحو الملكية الفردية ، والانجاز ، والتعليم ، والتخلى عن الشكل التقليدى للانتساب للأم • ولقد ترتب على ذلك أن أصبح الكثيرون من أعضاء هذه الأسرة أعضاء فى جماعة الصفوة فى هذا المجتمع (٦٠) • ولقد أكدت دراسة أخرى نشرت ضمن هذه المجموعة ما توصلت اليه الدراسة السابقة من أن المكانة لم تعد ترتبط بالأوضاع التقليدية ، وانما اصبحت ترتبط بالتعليم والثورة (٦١) • غير أن ذلك لا يعنى أن هذه الأسس الجديدة للمكانة قد حلت نهائيا محل الأسس القديمة • فلا تزال عملية التباين

---

(٦٠) M. Priestly, «The Emergence of An Elite : A Case Study of a West Ceast Family» in : Lloyd (ed.) op. cit., pp 88-99.

(٦١) N. Agblemagnon, «Masses and Elites in Black Africa The Togolese Example», in Ibid., pp. 118—125.

مستمرة ،وأن شكلا من أشكال التكامل يجب أن يظهر بين الصفوات المختلفة أثناء عملية التباين • وقد تأكد ذلك من خلال دراسة ثالثة نشرت ضمن هذه المجموعة ، أكدت على وجود ثلاث صفوات فى غانا تمثل منها مجموعة مختلفة من القيم • الأولى هى الصفوة التقليدية وهى تمثل الثقافة التقليديه والقيم التقليدية ، والثانية هى جماعة الانتلجنسيا وتمثل الثقافة الغربية والقيم الغربية ، والثالثة هى الصفوة السياسية الجديدة التى تخلق التكامل بين هاتين الصفوتين (٦٢) •

وقد انشغل بعض الباحثين المهتمين بدراسة المجتمعات العربية برصد تأثير التحديث على البناء الاجتماعى وعلى شكل التدرج الاجتماعى داخل المجتمعات الريفية • فقد اهتم عفيف طنوس Afif Tannous ـ على سبيل المثال ـ فى دراسته الكلاسيكية عن قرية عربية لبنانية (٦٣) ، بتحليل وتفسير تأثير بعض عوامل التغير على بناء القرية • من تلك العوامل تنوع النشاط الاقتصادى ، ودخول بعثات التبشير ، والتعليم ، وظهور الحركات الوطنية • واهتم الباحث بدراسة تأثير انشاء مصنع بالقرية على بنائها الاجتماعى بعامة وشكل التدرج الاجتماعى بخاصة • فقبل انشاء المصنع لم يكن بالقرية أى شكل من أشكال التباين الاجتماعى ، حيث كان معظم السكان ينخرطون فى اقتصاد بسيط متجانس ، ويترابطون حول علاقات قرابية ودينية • ومع تنوع النشاط الاقتصادى بعد دخول الصناعة ظهرت طبقة من الميسورين ممن يستطيعون ارسال أولادهم الى المدارس ، وتميزوا عن الفقراء الذين أخذوا فى ارسال بناتهم الى العمل فى المصنع • وقد ادت هذه التغيرات الى ظهور قيادة جديدة من المشرفين الموجودين بالمصنع • وأخذ عمال المصنع يلتفون حولهم بحيث يتحدث مشرف معين باسم جماعة معينة• غير أنه لم يظهر أى صراع بين القيادات القديمة من أصحاب المصنع وبين

---

(٦٢) K.E. De Graf-Johnson, «The Evolutions of Elites in Ghana» in Ibid., pp. 104—114.

(٦٣) A. Tannous, «Social Change in An Arab Village», A.S.R., Vol. 6, 19411, p. 650.

هذه القيادات الجديدة وذلك لأن القادة التقليديين كانوا يحتفظون باتجاهات أبوية نحو العمال ونحو المشرفين ٠

وقد استمر نفس الاهتمام بدراسة التباين وأثره على المعايير الجديدة للمكانة بارزا فى دراسات عديدة حتى الوقت الحاضر ٠ منها على سبيل المثال دراسة بيتر جبسر Peter Gubser على احدى المناطق الجنوبية فى الأردن (٦٤) ٠ اكد جبسر على أن التغير الذى طرأ على مجتمع مدينة الكرك قد حوله من مجتمع قبلى انقسامى الى مجتمع تظهر فيه الخطوط الطبقية بجلاء ٠ وميز جبسر فى هذا المجتمع ثلاث فئات طبقية : الطبقة العليا وتضم كبار الملاك وزعماء القبائل وتمثل ٣٪ من سكان المنطقة ، والطبقة الوسطى وتتكون من متوسطى الملاك والتجار وتمثل ٥٪ من السكان ، والطبقة الدنيا من العمال والفلاحين وتضم ٨٧٪ من السكان ٠ وظهرت بين هذه الشرائح شريحة وسطى من المتعلمين ويمثلون ٥٪ من السكان وهم يعملون بالتدريس والوظائف العامة ٠ ولقد ربط جبسر بين ظهور هذه الفئة وبين عملية التحديث وأكد على أهمية دورها ونموها كصفوة جديدة تعمل على نقل كل ما هو جديد الى بقية أفراد المجتمع ، كما أنها همزة الوصل بين الصفوة القومية والصفوة المحلية ٠ غير أن الوضع الذى تحتله هذه الصفوة الجديدة لا يزال ضعيفا ٠ حيث نجح مشايخ البدو من الصفوة التقليدية فى استقطاب الحكومة المركزية، وهو أمر دعمته سياسة الحكومة نفسها التى تعتمد على أساليب تقليدية فى الاتصال بالجماهير ٠ وقد ترتب على ذلك أن ظلت الصفوة التقليدية مسيطرة على مصادر القوة فى المجتمع ، مع التقليل من قوة الصفوة الناشئة ٠ وقد دعم ذلك أن الصفوة الجديدة نفسها غير مترابطة وتفتقد الى القيادة التى تخلق هذا الترابط ٠ ولا يزال التناقض بين التقليد والتحديث قائما ومتمثلا فى هذه الصفوات المتصارعة ٠

---

(٦٤) Peter Gubser, **Politics and Change in Al Karak, Jordan A Study of a small Arab Town and its District,** Oxford University Press, N.Y., 1973.

ولقد امتد تأثير هذا النوع من البحوث الى المجتمع المصرى • فقد ظهرت منذ بداية الستينات مجموعة من الدراسات تركز على تحول البنـــاء السياسى والقيادة وبناء القوة من الاشكال التقليدية الى الاشكال الحديثة • وربما تكون دراسة عاطف غيث عن « القرية المتغيرة » (٦٥) • من أول الدراسات التى اهتمت برصد هذا التحول • فالدراسة تهتم اهتماما خاصا بتباين الانساق الاجتماعية وبالتداخل القـــائم فيما بينها فى نفس الوقت • ورغم أن الدراسة لم تركز على البناء السياسى لمجتمع القرية الا أن بها اشارات الى تغير للنسق السياسى والطبقى وفقا لهذا المنظور • فهناك اشارة الى انفصـــال الســلطة عن الدوائر القرابيـــة • فقـد كانت « السلطة فى القرية تعتمد وتتعاون فى نفس الوقت مع سلطة العائلة والبدنة وبمعنى آخر فان العمدة كان يؤدى وظيفته عن طريق السلطات العائلية التى كان يمثلها كبار السن ورؤساء العائلات •• ولكن سلطة القرية الآن نمت على حساب السلطة العائلية وبالتالى ظهر القانون بدل العرف كمنظم أول للعلاقات بين الافراد » (٦٦) • وفيما يتعلق بالطبقات أشارت الدراسة الى ظهور الطبقات فى القرية بناء على ما لحق بناءها من تغير صاحبه ظهور الفردية والمصلحة وتفكك العائلة وروابط القرابة وتفتت الملكية والاعتماد المتزايد على السوق • واكدت الدراسة أنه بالرغم من تفكك الروابط القـرابية واحـلالها بالروابط القائمة على المصلحة (ومن ثم الطبقة) ، الا أن الافراد « مازالوا يقيسون بعدهم الاجتماعى عن غيرهم بمقاييس المركز القرابى » (٦٧) • ويدل ذلك بطبيعة الحال على تصارع القيم التقليدية مع القيم الحديثة أثناء عملية التباين والتغير التى تمر بها •

وقد أكدت نفس هذه الفكرة دراسة لويس مليكه (٦٨) حيث أظهرت أن

---

(٦٥) محمد عاطف غيث ، **القرية المتغيرة ، القيطون ــ محافظة الدقهلية** ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ •

(٦٦) المرجع السابق ، ص ١٨٩ •

(٦٧) المرجع السابق ، ص ٢٩٩ •

(٦٨) لويس كامل مليكه ، **الجمـاعات والقيادات فى قرية عربيـة** ، مـــرس الليان ، ١٩٦٣ •

الروابط العائلية لا تزال تلعب دورا هاما فى تحديد نمط القيادة فى المجتمع الريفى ، فضلا عن أنماط التجاذب والتنافر والاتصال والتأثير بين الناس ، وأن القيادة ـ رغم ارتباطها فى بعض الأحيان بالمستوى الاقتصادى والتعليم ـ تتركز فى أكبر الافراد سنا ، وأن مراكز القوة لا ترتبط بخدمة مصلحة وظيفية جماعية وانما ترتبط بطيبة الخلق وتقديم الخدمات الفردية ، ولا تأتى الخدمات العامة الا فى مرتبة ثانية • غير أن بعض الدراسات الأخرى قد أشارت الى مزيد من التباين فى مصادر اكتساب القوة فى المجتمع ، من ذلك مثلا دراسة محمود عودة عن القيادة فى قرية مصرية (٦٩) ، والتى وان كانت قد أكدت على البعد العائلى كأساس لبناء القوة ، الا أنها أكدت على مصادر أخرى مثل التعليم ، والمكانة الاقتصادية ، وعضوية الجماعات ، واحتلال المراكز الوظيفية • وبنفس الطريقة أكدت دراسة لعبد الباسط عبد المعطى (٧٠) على أن متغير السن ليس له دلالة فى بناء القوة ، وانما ترتبط دلالته بما يحيط به من متغيرات أخرى كالحيازة والحالة التعليمية ، والمهنة وما يترتب على كل ذلك من القدرة على عضوية المؤسسات فى القرية أو الجمع بين عضوية أكثر من مؤسسة •

٢ ـ **الموضوع الثانى** : التعليم والصفوة الجديدة

اهتمت مجموعة من الدراسات بالربط بين زيادة الفرص التعليمية وبين ظهور الصفوة الجديدة فى المجتمعات النامية • وقد ظهر هذا الاهتمام فى مجموعة الدراسات التى اجريت على مجتمعات افريقيا المدارية السابق الاشارة اليها ، حيث أكدت احدى هذه الدراسات أن تزايد الفرص التعليمية قد أدى الى ظهور صفوة صغيرة ميزت نفسها عن بقية افراد المجتمع الذين لا يملكون خاصية التعليم ، كما أن الصفوة المتعلمة تتباين فيما بينها حسب مستوى التعليم الأمر الذى يؤدى الى أن تأخذ كل جماعة متقدمة فى المستوى التعليمى وضعا

---

(٦٩) محمود عودة ، **القيادة فى قرية مصرية** ، رسالة ما جستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٦٦ •

(٧٠) عبد الباسط عبد المعطى ، « بعض ملامح بناء القوة فى قرى مصرية » ، **أعمال المؤتمر الدولى الثانى للاحصاء والبحوث الاجتماعية** ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٧ •

صفويا أفضل من الجماعة التى تقل عنها مستوى بحيث تظهر دورات للصفوة بين هذه الجماعات المتعلمة (٧١) • ولقد أكدت دراسة أخرى أجريت فى أثيوبيا أيضا أن السبب الأساسى خلف ظهور الصفوة الجديدة هو انتشار التعليم فى المدارس والجامعات فى الداخل والخارج • فقد اكتسبت هذه الصفوة ـ من خلال التعليم ـ الافكار الحديثة والقيم والمهارات التى ميزتها عن القطاعات الأخرى من المجتمع ، وجعلها تكون اتجاها عدائيا ضد الصفوة القديمة (٧٢) •

ويركز بعض الباحثين هنا على دراسة الصفوات التى فى طور التكوين Elites-in-formation ، وينصب اهتمـــامهم هنـا على طلبـة الجامعـات على أنهم سـوف يمثلون الصفوة الجديدة بعد تخرجهم • ومن أمثلة هـذه الدراسات الدراسة التى أجريت على عينة من طلاب جامعة احمدو بلوفى نيجيريا على اعتبار أن هؤلاء الطلاب يمثلون صفوة فى طور التكوين (٧٣) • وقد أكدت هذه الدراسة أن التعليم قد لعب دورا هاما فى تشكيل العلاقات بين الجماعات الاجتماعية فى نيجيريا ، وفى التنافس على مواقع القوة السياسية • غير أن هذا البحث قد أكد نقطة هامة مؤداها أن هذه الصفوة الجديدة تنحدر أساسا من أصول طبقية مرتفعة ، أو بالأحرى من الصفوة القائمة بالفعل ، حيث أشارت البيانات الى أن أعداد أبناء الطبقة العليا تفوق بكثير أعداد أبناء الطبقة الدنيا فى الجامعات • ويترتب على ذلك نتيجة مؤداها أنه بالرغم من التناقض القائم بين الصفوة الجديدة المتعلمة والصفوة القديمة ، الا أن تلك الأخيرة تنحدر أساسا من الأولى ، وأن الاصول الاجتماعية ـ الاقتصادية

---

(٧١) M.B. Lukhero, «The Social Characteristic of an Emergent Elite in Harare » in Lloyd (ed). **op. cit.** pp. 126-136.

(٧٢) D.N. Levine, «Class Consciousness and Class Solidarity in the New Ethiopian Elites», in : Lloyd (ed). **op. cit.** pp. 312 - 325.

(٧٣) J.O' Connell and P. Beckett, «Social Characteristics of an Elite-in-Formation : The Case of Nigerian University Student», **B.J.S.**, Vol. 26. 1975. pp. 309-336.

تلعب دورا أساسيا فى تكوين الصفوة الجديدة ، طالما أن الميسورين فقط هم القادرون على تعليم أولادهم ٠

وقد امتد مجال الاهتمام هذا الى مصر خاصة بعد التوسع فى التعليم الفنى والجامعى ٠ وأصبحت تفرد دراسات خاصة لرصد آثار التعليم على تغير البناء الاجتماعى ، من ذلك مثلا دراسة سالم عبد العزيز عن « التعليم والتغير الاجتماعى فى القرية المصرية » (٧٤) ٠ ولقد اكدت احدى نتائج هذه الدراسة أن هناك تأثيرا بالغا للتعليم على تغير نمط القيادة فى القرية ، الأمر الذى تبدى فى حقيقتين : الاولى : زيادة عدد المتعلمين بين قادة القرية ، فكلما مالت الفرص التعليمية داخل القرية الى الازدياد كلما تحولت القيادة من الافراد التقليديين الى الافراد المتعلمين ٠ الثانية : ارتباط الاتجاه نحو القادة بمستوى التعليم ، فكلما ارتفع المستوى التعليمى للافراد ارتفع معدل رغبتهم فى قيادة متعلمة ٠ ولقد ترك هذا الاهتمام بالتعليم آثاره على كل بحث يجرى عن الطبقات أو بناء القوة فى القرية المصرية أو المجتمع بعامة ٠ وأكتفى هنا بالاشارة الى دراسة لحسن الساعاتى عن الطبقات البرجزة والارستقراطية الجديدة فى المجتمع المصرى (٧٥) ٠ والطبقة البرجزة الجديدة والطبقة الارستقراطية الجديدة تعدان بمثابة شريحتين داخل الطبقة الجديدة أو الصفوة التى ترتبت على البرامج الاشتراكية التى طبقت فى مصر بطريقة عشوائية على ما يذهب الباحث، تلك البرامج الاشتراكية التى « رفعت بعض الناس الى قمة التدرج وخسفت بعضهم الآخر الى أسفله » ٠ وتتكون الطبقة الارستقراطية الجديدة من كبار

---

(٧٤) سالم عبد العزيز محمود ، **التعليم والتغير الاجتماعى فى القرية المصرية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الاداب ـ جامعة عين شمس ، ١٩٧١ ٠

(٧٥) H. El-Saaty, «The New Aristocratized and Bourgeoisied classes in the Egyptian Applilication of Socialism», in : Van Nieuwenhjze (ed.) **Commoners, Climbers and Notables : Sampler of Studies on The Social Ranking of Middle East**, Leiden, Brill, 1977, pp. 196-204.

الموظفين الذين يهيمنون على التنظيمات والمؤسسات المختلفة • أما الطبقة البرجزة الجديدة فانها تتكون من الشباب العريض فى الريف والمدينة ، ممن التحقوا بالجامعات والمعاهد العليا ، وبالوظائف العامة بعد ذلك • فالتوسع فى التعليم هو السبب الرئيسى وراء ظهور هذه الفئة الجديدة، ولأن هاتين الفئتين تمثلان شرائح داخل الصفوة الجديدة ، ذهب الساعاتى الى أنه لاتوجد أى أشكال للصراع بينهما • فالاولى هى صاحبة النظام والثانية هى حاميته ، وان كان قد أشار ايضا الى الطبقة الوسطى التى تأخذ عناصرها من هؤلاء الصاعدين الجدد ، وتتبنى الدعوة للمبادىء الدستورية ومبادىء العدل والمساواة ،

٣ ـ **الموضوع الثالث :** التعبئة السياسية والممارسة المحلية

ظهر الاهتمام بدراسة التعبئة السياسية وعلاقتها بالممارسة السياسية المحلية من واقع الاعتقاد بأن التعبئة السياسية التى تمارسها الحكومات المركزية وما يرتبط بذلك من أجهزة للتنشئة السياسية ومن تنظيمات سياسية عامل أساسى فى تحقيق التكامل القومى بين الأجزاء المتباينة للبناء الاجتماعى ، وهو ما أطلق عليه بعض الباحثين الثورة التكاملية على ما اشرت من قبل • غير أن الذى شجع على نمو هذا الاتجاه فى البحث هو ظهور الحركات والثورات الوطنية فى العالم الثالث ، تلك التى ادعت تنفيذ برنامج للتنمية السياسية والاجتماعية ، التى عكست فى بعض الأحيان بعض الاتجاهات الايديولوجية • ولا شك أن المجتمعات العربية قد شهدت الكثير من هذه الحركات والثورات ، الأمر الذى أدى الى أن يرتبط هذا النوع من البحث بهذه المجتمعات أكثر من غيرها •

ومن أول الدراسات التى ظهرت حول هذا الموضوع دراسة هنرى مور Henry Moore عن قرية تونسية (٧٦) • ولقد حاول الباحث أن يوضح كيف أدت التغيرات التى أدخلها القادة الوطنيون ـ والمستعمرون من قبلهم ـ الى انفصال الممارسة السياسية فى القرية عن أطرها التقليدية وارتباطها

---

(٧٦) C.H. Moore, «Politics in a Tunisian Village», M.E.S. Vol. XVII, Autumn, 1963, pp. 527-540.

بالممارسة الحزبية على المستوى القومى • وقد صاحب هذا التغير ظهور صفوة جديدة متعلمة ارتبطت بحزب الدستور الجديد على المستوى القومى ، وظهر ضرب من التناغم بين قيادة القرية وبين القيادة القومية • ويترتب على ذلك أن تصبح الممارسة السياسية على مستوى القرية موجهة من السلطة المركزية التى تريد أن تحقق التكامل فى المجتمع • ويترتب على ذلك ايضا أن تكبح المعارضة بطريق شتى ، وحتى اذا ظهرت أى معارضة من بين صفوف هذه الصفوة الجديدة أو بينها وبين الصفوة التقليدية ، فانه يتم تحييدها من خلال سياسة التوفيق Conciliation politics بين الأطراف المتصارعة • ولا يتم هذا التوفيق على اسس ديموقراطية ، وانما تلعب فيه شخصية الفرد الذى يقوم بالتوفيق أو مكانته الحزبية أو التعليمية دورا هاما • وغالبا ما ينتهى سياسة التوفيق هذه لصلحة الصفوة الجديدة ، ولا تجد الصفوة القديمة أمامها من حل الا قبول الأمر الواقع •

ولقد تأكدت نفس النتائج تقريبا من خلال دراسة عن الممارسة السياسية فى الريف السورى مع تأكيد دور الحزب فى عملية التعبئة السياسية داخل القرية (٧٧) • اهتم الباحث فى هذه الدراسة بخضوع القرى السورية لعملية تعبئة من أعلى تستهدف نشر تنظيمات وافكار حزب البعث • فقد تم تدريب كوادر محلية من اهل القرى يمكن من خلالها نشر أهداف وبرامج الصفوة المركزية الى الجماهير • وقد ترتب على ذلك قيام نظام جديد للمكانة والقيادة داخل القرى ، وبدأ الفلاحون ينجذبون الى التنظيمات الجديدة التى كانت تستهدف كسر روابطهم بالقادة التقليديين ، وكان يتم ذلك من خلال خلق نوع من التوحد ـ عن طريق قادة الحزب المحليين ـ بين الفلاحين وبين أهداف الحزب الجديدة ، واقناعهم بأن التعاون مع الحزب سوف يكون من مصلحتهم ، بل ان هذا الاقناع يتم من خلال برامج فعلية كالاصلاح الزراعى ، وانشاء الجمعيات التعاونية • ويبدو أن الفلاحين ـ خاصة من صغار الملاك ـ قد وجدوا أيضا

---

(٧٧) R.A. Hinnebusch, «Local Politics in Syria : Organization and Mobilization in four Villages Cases», M.E.J., Vol. 30, No. 1. Winter, 1976, pp. 1-23.

أن الانضمام للتنظيمات الحزبية المحلية يتيح الفرصة لهم لبناء مكانة محلية، والتمكن من أساس جديد للقوة • غير أن هذه الدراسة قد أكدت أيضا على أنه بالرغم من خلق هذا النظام الجديد لبناء القوة فى القرى السورية الا أن القوة التقليدية لم تختف نهائيا • فلم يؤد الاصلاح الزراعى الى كسر سيطرة كبار الملاك على السوق المحلية ، فضلا عن أن الجماهير لا تزال تعتمد على الصفوة التقليدية فى الكثير من أمور حياتها اليومية • وبالرغم من ذلك فقد أصبحت سيطرة الصفوة الجديدة المشكلة من المركز حقيقة واقعة •

ولكن هناك بعض الدراسات التى تؤكد على الخطوط التى تربط بين الصفوة المركزية والصفوة التقليدية ، حيث نجحت تلك الأخيرة فى التغلب على الصفوة الجديدة الناشئة بتشجيع من الحكومات الملكية • وقد أشرت من قبل الى دراسة بيتر جبسر التى أكدت وجود هذه الظاهرة فى الأردن • وأشير هنا الى دراسة حديثة عن الصفوة الريفية فى المغرب (٧٨) • فقد تبنت سلطات الحماية فى المغرب سياسة لتحديث النسق الادارى للصفوة المحلية بغرض تغيير النسق التقليدى القديم • ولقد اعتمدت السياسة الفرنسية على متوسطى الزارعين بمنحهم تسهيلات الميكنة والسماد والبذور • وكان من المفترض أن يصل هؤلاء ــ من خلال الانتخاب ــ الى عضوية المجالس المنتخبة بحيث يتم احلالهم محل القادة والوجهاء التقليديين • غير أن هذه السياسة لم تستمر الى نهايتها ، ولو حدث ذلك لتكونت صفوة جديدة تغلبت على الصفوة التقليدية • بل ان الوضع تغير كثيرا بعد الاحتلال فلم يقدر لهذه الصفوة الجديدة أن تظهر على ما يبدو • فقد حدث صراع بين فئات عديدة ترتب عليه بعض التحالفات ، حيث ربط أصحاب الحركة الوطنية فى المدن أنفسهم مع فقراء الريف،بينما أخذت البرجوازية الحضرية دور وريث القوة الاستعمارية• وحاولت الطبقات الوسطى فى الوظائف الحكومية أن تستغل وظائفها للسيطرة على قطاعات أخرى فى المجتمع بحيث يتم تحديثها وفق ارادتهم وهذه هى

(٧٨) R. Leveau, «The Rural Elite as an Element of The Social Stratification in Morocco», in : Van Niewenhjze (ed.) op. cit., pp. 268-278.

الطبقة التى حاول الفرنسيون خلقها على ما يبدو • وفى هذه الظروف تحالفت النظام الملكى مع الصفوة الريفية التقليدية ، فاستمرت تلك الأخيرة متجانسة الى حد كبير دون أى تفكك ملحوظ • ولم تنجح الطبقة الوسطى فى المدن فى تنفيذ سياستها بشأن كسر النفوذ السياسى والاقتصادى للصفوة المحلية ، كما لم تظهر سياسة قومية لتوزيع الأرض أو اصلاح الأراضى • ولقد دل ذلك على أن السلطة المركزية لا تريد أن تزعزع كيان هذه الصفوة التقليدية طالما أنها تستند اليها كحليف أساسى •

ولقد ظهر هذا النوع من الدراسات فى المجتمع المصرى خاصة فى فترة ما بعد الثورة التى شهدت تعبئة سياسية ، وانشاء تنظيمات سياسية لها امتدادات محلية ، وسوف أشير فى الفصل القادم الى دراسة عن التعبئة السياسية فى الريف المصرى تنتمى الى التراث النظرى الذى نعرضه فيما بعد أكثر من انتمائها الى التراث الذى نعرضه هنا • وأشير هنا الى دراسة أجريت فى نهاية الخمسينات (٧٩) • واكتشف الباحث فى هذه الدراسة أن الصفوة فى احدى قرى الدلتا تنقسم الى شريحتين : الأولى تتوحد مع حكومة الثورة وتدافع عن برامجها وترغب فى مزيد من التغيرات فى مجتمع القرية ، والثانية تقاوم التغير وتقبل الوضع القائم كمصير حتمى فقط • ولقد أكد الباحث أن الجماعة الجديدة المتوحدة مع السلطة المركزية قد بدأت تحظى باهمية بالغة ، وقد تدعم كيانها من خلال نشر التعليم • ويحاول الباحث أن يقابل بين اثنين من النظم احدهما حديث والآخر تقليدى ، مع الربط بين الجماعة الداعية الى التغيير فى القرية وبين النظم الحديثة (الثورة فى هذه الحالة تفهم على أنها تعبير عن النظم الحديثة التى تدعو الى العدالة والمساواة فى مقابل النظم التقليدية التى تدعو أو تقوم على التسلطية) • وتحاول كل جماعة من الجماعتين المتناقضتين فى القرية أن تدعو الى الافكار التى تتبناها ، غير أن الأمور تشير الى نمو قوة الجماعة الجديدة التى تدعو وتتوحد مع أفكار السلطة المركزية •

---

(٧٩) J.B. Adams, «Culture and Conflict in an Egyptian Village», **A.A.**, Vol. 59, No. 2, 1957.

وهكذا جسدت هذه الدراسات الامبيريقية فى الريف الواقع النظرى للاتجاه التعددى الوظيفى والذى يقوم فى اساسه على المقابلة بين العناصر الحديثة والعناصر التقليدية فى البناء الاجتماعى ، وضرورة التكامل الذى يجب أن يقوم بين هذه العناصر • ولننتقل الآن الى رؤية مدى نجاح هذا الاتجاه فى تفسير الواقع وذلك من خلال نظرة نقدية •

رابعا : نقد الاتجاه التعددى ـ الوظيفى

مما لا شك فيه أن هذا الاتجاه قد قدم بعض الافكار التى تبدو صائبة خاصة فيما يتعلق بسلوك الصفوة ونمط توزيع القوة • ولكن هذه الافكار قد تمت صياغتها فى اطار فكرى زائف الى حد بعيد • فالاتجاه الذى يؤكد فقط على عملية التباين فى البناء والثقافة ، مع ربط هذا التباين بصورة مثالية للمجتمع ، يفشل فى تقديم تفسير حقيقى لبعض المسائل التى يثيرها • من ذلك ـ على سبيل المثال ـ ما هى جذور عدم الاستقرار البنائى بصفة عامة والسياسى بصفة خاصة ؟ وما هى الجذور البنائية لجماعات الصفوة ؟ وما العلاقة بين بناء المجتمع ونمط القوة القائم ؟ وما الأسباب الحقيقية وراء بعض سلوك الصفوة ؟ وما هى ديناميات صراع القيم فى هذه المجتمعات ؟

ولا أود هنا أن أكرر النقد الذى وجه الى هذا الاتجاه من قبل ، وانما أود أن أثير بعض النقاط المتعلقة بمستوى الاتساق النظرى فى البناء المعرفى لهذا الاتجاه ومدى الصدق الامبيريقى لافتراضاته الأساسية • ومع ذلك فسوف أشير فى عجالة الى بعض نقاط النقد التى وجهت الى هذا الاتجاه من قبل :

١ ـ أكد جوزيف جسفيلد Gusfield ـ من خلال خبرته بالمجتمع الهندى ، على نقد ما أسماه « بالنظرية الخطية فى التغير » بمعنى التغير الخطى من التقليد الى الحداثة مع النظر الى القيم التقليدية على انها تمثل عقبات أمام حركة التطور • ومثل هذه النظرية لا تتمتع بأى صدق امبيريقى ، ذلك

لان قضاياها الرئيسية تظهر على أنها مغالطات عندما نواجهها بالواقع (٨٠) • وهذا الواقع يكشف عن أن الجانب التقليدى يمكن أن يكون له قدرة خلاقة ، كما أنه ذو طابع أيديولوجى ، وبه قدر من المرونة تمكنه من أن يساوق الحداثة • وأكد جسفيلد على وجود طبقة أو صفوة وسيطة أقل اكتسابا لصفات الغرب ، وأكثر ارتباطا بالجانب المحلى فى الممارسة السياسية •

٢ ـ كما نقد رينهارد بندكس Bendix الأعمال التى تقابل بين التقليد والحداثة من حيث أنها تقدم « رؤية ساذجة للمجتمعات التقليدية ، وللمجتمعات الحديثة ، وكذلك للتحول من نمط الى آخر » • وتكمن أسباب هذا التبسيط أو هذه السذاجة فى الخلط بين الأطر النظرية المصوغة فى صورة أنماط مثالية وبين السياقات الفعلية للتغير التاريخى ، فضلا عن التعميم الخاطىء من واقع خبرة متحيزة أيديولوجيا ، وهى خبرة التغير فى المجتمعات الأوربية (٨١) •

٣ ـ ولقد نقد بورتس Portes اثنتين من القضايا التى توصل اليها أنصار هذا الاتجاه ، على الرغم من أنه عالجهما كرؤيتين مستقلتين • تتصل الاولى بفكرة التباين الاجتماعى ، والثانية بالتاكيد على اهمية القيم • فالفكرة الأولى تقدم نموذجا مجردا وتدريجيا للتغير ، وتهمل التفاعل بين العوامل الداخلية والخارجية فى التغير الاجتماعى (٨٢) • اما التركيز على القيم فانه يهمل الضوابط البنائية الخارجية التى تتحكم فى سلوك الفرد ، ويهتم

---

(٨٠) J.R. Gusfield, «The Tradition and Modernity : Misplaced Polarities in the Study of Social Change», A.J.S. Vol. 72, No. 4. 1967, pp. 252-7

(٨١) R. Bensix. «Tradition and Modernity Reconsidered» C.S.S.H Vol. 9. 1966 p. 293.

(٨٢) A. Portes, op. cit., pp. 64-67.

بقيم الاستهلاك دون القيم الحقيقية التى تؤدى الى التغير الأمر الذى ينتهى الى ضرب من ضروب الخيال التاريخى (٨٢) ٠

وتؤدى بنا هذه الاسهامات النقدية الى رفض الكثير من القضايا التى يعتمد عليها هذا الاتجاه ٠ ولنا ان نسأل هذا السؤال : هل نجح هذا الاتجاه فى تعميم القضايا الوظيفية التعددية على افكار العالم النامى دون الوقوع فى تناقضات ابستومولوجية ؟ المحقق ـ وكما اكدت الانتقادات السابقة ـ أن الاطار المعرفى الذى تمت صياغته لدراسة المجتمعات الغربية قد تم تطبيقه على المجتمعات الأخرى كنموذج مثالى ٠ وقد ادى ذلك بأنصار هذا الاتجاه الى بعض التناقضات الابستومولوجية اشير الى بعض منها :

(ا) من الواضح أن هناك اهتماما لدى هذا الاتجاه النظرى بفكرة التطور وفكرة الانتشار ٠ فالمجتمعات التقليدية **تتطور** تطورا خطيا من خلال **نشر** الثقافة العالمية ٠ والسؤال الآن كيف يمكن لاتجاه يرتكز ـ فى احدى دعائمه ـ على التحليل الوظيفى الذى عارض فى نشأته الاولى فكرتى التطور والانتشار ، أن يعود مرة أخرى الى هاتين الفكرتين من جديد ٠ لا شك أن السبب فى ذلك هو اعتبار العالم الديموقراطى الغربى صورة مثالية يجب أن تتطور المجتمعات حتى تصل اليها ٠ وسبيلها الى ذلك هو اكتساب ثقافة هذا العالم الديموقراطى ٠ ولا شك أن هذا التصور يؤدى الى اهمال الديناميات الداخلية للأبنية والثقافات التى تميز البلدان المتخلفة وتكسبها خصوصيتها ٠ والأمر برمته يفضى بانصار هذا الاتجاه الى خرق قواعد النسق المعرفى الذى يؤمنون به ٠ وربما يكون ذلك هو الذى دفع بارسونز فى نهاية حياته ان يربط بين صياغة النظرية وبين صورة من صور التطورية ٠

(ب) وهناك مصدر آخر للتناقض يأتى من التناقض بين النظرية العينية substantive والنظـــرية المعيـــارية normative ٠ ويبدو أن الرؤية الثنائية لواقعين مختلفين من خلال منظور واحد أدى الى أن تتحول النظرية

---

(٨٢) Ibid., pp. 67-73.

التعددية الوظيفية الى نظريتين احداهما تتعامل مع المجتمعات المتقدمة (والتى عرضت لها فى الفصل الاول) والأخرى تتعامل مع المجتمعات المتخلفة (وهى التى عرضت لها فى هذا الفصل) • الاولى عينية والثانية معيارية • ففى تصورها عن المجتمعات الديموقراطية الغربية تبدو النظرية وكأنها نظرية عينية (بمعنى أنها مكونة من مجموعة من القضايا الامبيريقية العامة التى تؤكد علاقات سببية بين الاحداث) ، ولكن عند التحول الى دراسة المجتمعات المتخلفة تحولت هذه القضايا العينية الى قضايا معيارية • فأبنية وثقافات العالم الذى يقع خارج نطاق العالم الديموقراطى توضع دائما فى مقابل أبنية وثقافات هذا العالم الديموقراطى التى ينظر اليها على أنها أنماط مثالية • وبناء على ذلك ، فان رؤية ابنية وثقافات العالم الثالث لا تتم من خلال رصد واقع هذه المجتمعات وصياغة مفاهيم جديدة لوصف العمليات التاريخية التى أدت الى وجودها بهذا الشكل ، وانما تتم من خلال مفاهيم وصياغات جاهزة •

ويذهب الفن بوسكوف Alvin Boskoff الى أن النظرية المعيارية هى تلك التى تهتم « بالتأكيدات التى تصف ظروفا لازمة لحدوث نتيجة اجتماعية مرغوب فيها •• ومن ثم فان مجال الاهتمام ينصب على النتيجة دون الميكانيزمات التى تنتج الظاهرة أو تؤخر ظهورها أو تعوقها عن الحدوث » (٨٤)• والملاحظ من خلال عرضنا لهذا الاتجاه أن نمط التفسير الذى يقدمه يتطابق مع هذا التعريف للتفسير المعيارى • وذلك لأن هناك تأكيدات على ظروف معينة لا بد من حدوثها لتحقق نتيجة اجتماعية معينة • فالمجتمعات التقليدية لا بد وأن تكتسب بعض العناصر الثقافية من المجتمعات المتقدمة ، تلك التى تؤثر بدورها على المجتمعات التقليدية فتتحول باستمرار فى اتجاه النموذج الغربى • وفى مثل هذا التحليل فان المهم هو النتيجة (وصول المجتمعات التقليدية الى النموذج الغربى) وليس الميكانيزمات (تاريخ هذه المجتمعات وديناميياتها الداخلية وخصوصياتها التاريخية) • وقد يذهب أنصار هذا

---

(٨٤) Alvin Boskoff, **The Mosaic of Sociological Theory**, Thomas Y. Crowell Company. N.Y., 1972, p. 2.

الاتجاه الى القول بأن التباين الوظيفى هو الميكانيزم الداخلى ٠غير أن ذلك القول مردود عليه من حيث أن التباين الذى يتحدثون عنه قد لا يؤدى بالضرورة الى التكامل ، فضلا عن أنه لا يؤدى الى التحديث ٠ فدراسة تاريخ انتشار القيم نفسها وما ارتبط بذلك من هيمنة على المجتمعات التقليدية قد أدى الى نمط من المجتمعات يخالف تماما النمط الذى يتصورونه ٠

(جـ) وتؤدى مظاهر عدم الاتساق النظرى هذه الى صعوبات عديدة فى التعامل مع بعض المسائل الخاصة أشير الى اثنتين منها :

١ ـ القضية التى مؤداها أن تحول القيم الثقافية يعد مستلزما أساسيا للتغير ٠ لقد تم اشتقاق هذا التعميم من الاطار النظرى المعيارى المشتق بدوره من الخبرة الأوربية ٠ ولا شك أن للقيم أهمية بالغة فى عملية التحول ، غير أن الطريقة التى عولجت بها القيم فى هذا الاتجاه تبدو غير مقبولة الى حد بعيد ٠ فالقيم التى تم التركيز عليها هى قيم لاتؤدى الى تغير جوهرى فى بناء الفرد ، وانما تؤدى فقط الى تغير مظهرى ، بل انها قد تؤدى الى تشويه البنية الأساسية لشخصية الافراد ٠ وفى هذه الظروف تكون نتيجة التحديث الذى يتحدثون عنه ظهور نمط للفعل الاجتماعى لم يظهر فى أوربا فى عصر تحولها ، وهو لن يؤدى بافراد المجتمع الى نماذج مكررة من الافراد الذين يعيشون اليوم فى مجتمعات الغرب ٠ انه نمط خاص ، بل ان خصوصيته قد تختلف من مجتمع الى آخر ٠

٢ ـ فيما يتعلق بدراسة الصفوة والانساق السياسية ، نجد أن أنصار هذا الاتجاه قد حاولوا فى صياغتهم النظرية عن المجتمعات الديموقراطية المتقدمة أن يتخلوا عن مفهوم الصفوة (ولقد اتضح ذلك من الفصل السابق) ٠ ولكن عندما اتجهوا الى مجتمعات العالم الثالث دافعوا عن هذا المفهوم من جديد ، وفى هذا الصدد ظهر تحليلهم للبناء السياسى ولجماعات الصفوة وكأن هذا البناء وهذه الجماعات مفروضين على المجتمع فرضا من أجل تحقيق التكامل بين عناصر البناء الاجتماعى

المفككة أو غير المستقرة . ولم يظهر هنا أى جهد لربط البناء السياسى وجماعات الصفوة بالبناء الاجتماعى برمته وبالتركيب الطبقى . حقيقة أن جماعات الصفوة تبدو منعزلة عن الجماهير ، ولكن السؤال الجدير بالاجابة هو : الا تأتى هذه الجماعات من بين صفوف الجماهير ؟ وبطريقة أخرى : أليست هناك ظروف تاريخية معينة هى التى فرضت هذا النوع من السلوك .